

ماركس - انجلز



التنظيم الشيوعي

١

١٨٤٦ - ١٨٥٠

إعداد، ترجمة - وتقديم
العفيف الأخضر



التنظيم الشيوعي

ماركس – انجلز

التَنظِيمُ الشّيُوعي ١٨٤٦-١٨٥٠

إعداد، ترجمة، وتقديم

العفيف الاخضر

دار القدس

تنبيه

سنصدر هذا الكتاب في أربعة أجزاء متتالية. وسيكون كل جزء منها مرفوقا بمقدمة، عن وقائع الصراع الطبقي الفعلي والتنظيمات العمالية التي واكبته، تغطي نفس الفترة التي كتبت فيها نصوص ماركس – انجلز عن التنظيم وذلك لنمكن العمال الثوريين من استيعاب هذه النصوص استيعاباً تاريخياً لا استيعاباً اديولوجياً. وفي صيغة اخرى لكي يتمكنوا من استيعابها **النقدي** في سياقها التاريخي لا فهمها، وبالاحرى بصمها، كنصوص دينية تحلق بجناحين سحريين فوق الزمان والمكان. ولذا فهذا الكتاب، بأجزائه الاربعة، هو في الحق **كتابان** متكاملان. وعندما تتكامل أجزاؤه فسيكون بين ايدي القراء في نفس الوقت، مع نصوص ماركس – انجلز، **تاريخ الحركة العمالية** الاممية في العالم المتمدن خلال قرن الا قليلا (١٨٩٥-١٨٠٠). ونترك لفكر العمال النقدي ان يحدد الى اي درجة استلهم ماركس وانجلز راديكالية الحركة العمالية الفعلية والى اي درجة تجاوزاها او تخلفا عنها.

ملاحظات حول ظهور
التنظيمات العماليّة في العالم المتمدِّن

١- في انجلترا

بدأت الجمعيات والنوادي العمالية او شبه العمالية تظهر في انجلترا قبيل نهاية القرن الثامن العشر مثل نادي حالجي الصوف، ونادي الخياطين، ونادي صنائعية المسامير ... لكن وعي عمال هذه النوادي كان ما زال مستعمراً بروح التآخي الحرفي الموروثة عن العصور الوسطى: أحياناً كان العمال وارباب العمل يشربون سويا مساء السبت في جو من المرح والتصالح الطبقي.

اول جمعية سياسية عمالية في تاريخ انجلترا هي جمعية المراسلة اللندنية التي ظهرت سنة ١٧٩٢ تحت تأثير راديكالية ثورة ١٧٨٩ الفرنسية. وسميت جمعية المراسلة لان اعضاءها كانوا يتخذون المراسلة وسيلة لربط الاتصال بينهم. لم يكن برنامج الجمعية يتخطى المطالبة بالاقتراع العام الذي يشترك فيه كل الشعب بقطع النظر عن الوضع المالي، والى انتخاب البرلمان سنوياً.

لم تكن الجمعية عمالية صرفة بل كانت تجمعا عماليا – برجوازيا صغيرا. اما اديولوجيتها فقد كانت بورجوازية جمهورية صرفة. وقد واجهت البورجوازية والارستوقراطية في انجلترا هذه الجمعية «اليعقوبية» بالقمع الوحشي: فحرمت حرية الاجتماع، وحرية الصحافة وحرية انشاء الاحزاب وحرية الاضراب الذي كان معتبرا جريمة كجريمة القتل.

مع بداية القرن الثامن عشر ظهرت جمعيات عمالية في يودكشير ولنكشير مثلا حيث كان الوعي الطبقي الجنيني آخدا في التبلور. ففي ١٧٩٩ ظهرت **جمعية عمال نسيج القطن** التي أصدرت بياناً جاء فيه:

ان القوانين الحالية التي صدرت لحماية عمال النسيج من ظالميهم قد ديست بالاقدام، نظرا لغياب التضامن بين العمال، ولهذا قرر العمال اليوم ان يكون بعضهم لبعض نصيرا للمطالبة بحقوقهم حسبما يقتضي العدل والانصاف.

النقطة الايجابية في هذا البيان هي التشديد على التضامن الطبقي بين العمال. لكنه في جميع النقاط الاخرى كان مليئاً بالاوهام حول «مبادئ العدالة والانصاف»، وحول حياد و «حكمة المشرع الذي سيتخذ تدابير عادلة بمجرد اطلاعه على الوضع الفعلي للعمال» الخ لأنه كان لا بد من خوض صراع مرير لم ينته بعد لكي ييأس العمال نهائيا من مساعدة دولهـ«م» ونقاباتـ«هم» واحزابهـ«م» ويعولوا على انفسهم لصنع تحريرهم.

لكن هذه البداية الخجولة لظهور التنظيمات العمالية ارعبت الطبقة السائدة التي كانت ترى الجمعيات السرية في كل مكان

وراحت تشجب «الايادي الاجنبية» التي تحرك العمال لاضعاف الصناعة القومية وتخريب قدرتها على المنافسة، وكما راحت تحمل «الاديولوجيا الوبيلة» مسؤولية «فساد اخلاق العمال» الخ ... وكان ترياقها الوحيد لعلاج هذه «الاخطار» هو قانون ١٨٠٠ الذي حرم تكوين الجمعيات.

حاربت البروليتاريا الناشئة في انجلترا على جهتين: ضد المالكين وممتلكاتهم من ناحية وضد العمال «الخونة» الذين كانوا يرفضون التضــامن مع ابناء طبقتهم ضد ارباب العمل. ولم يكن امام عمال هذه الحقبة من وسائل النضال الا وسيلتان: الجمعيات السرية والارهاب.

في ١٨٢٤ اعترفت البورجوازية الانجليزية للبروليتاريا بحق تنظيم نفسـها في نقابات، هذه «النقابات التــي ولدت في البدء من المحاولات العفوية التي قام بها العمال من اجل الغاء او على الاقل تضييق نطاق هذه المنافسة [منافسة العمال بعضهم لبعض في سوق العرض والطلب البشرية]، من اجل انتزاع شروط شغل تعاقدية ترفعهم على الاقل فوق شروط مجرد عبيد» (ماركس، قرار حول النقابات صادق عليه المؤتمر الاول للأممية ١٨٦٦). شكل الاعتراف للبروليتاريا بحقها في تنظيم نفسها داخل نقابات حدثاً هاما. اذ انه اخرج العمال من دوّامة الارهاب ودفعهم الى العمل العلني المنظم، **الصيغة الوحيدة** لتعبير الطبقة العاملة عن ذاتها بشكل كامل ومتكامل. ذلك لان الطبقة التي هي الغالبية الساحقة من الشعب لا يمكن ولا يجوز ان تكون سرية في ممارستها الثورية. **فالتآمر** غريب عن ماهية البروليتاريا. والبروليتاريا تختلف عن النخبة المتآمرة وعن الاقلية الناشطة بأنها لا تضع في منظور اهدافها نيل السلطة اختلاسا، كما يختلس اللص نعجة في الظلام، بل تناضل من اجل نيلها غِلابا واغتصابا.

لقد كان المطلب الاول الذي طالبت به الطبقة العاملة الانجليزية بمجرد وعيها لذاتها هو **الديموقراطية** التي هي في الاصل مطلب البورجوازية الثورية المناضلة ضد طاغوت الاقطاع والكنيسة. (ليعد القارئ الى ما كتبه انجلز عن الحركة الشارتية في كتابه: **الطبقات الكادحة في انجلترا**، حيث لخص تلخيصاً مركزا وجيدا بداية ممارسة البروليتاريا السياسية في انجلترا).

بجعلها مطلب الديموقراطية في رأس قائمة مطالبها عبرت البروليتاريا منذ ظهورها كطبقة لذاتها عن ارادتها في **الاستقلال** عن الديموقراطية البورجوازية بشتى منوعاتها وعبرت بذلك عن عزمها على تقرير مصيرها كطبقة لا حليف لها حتى النهاية **ولا بديل لها** اصلا.

الحركة الشارتية

كانت الحركة الشارتية اي حركة الميثاق، سواء على صعيد الصراع الطبقي الفعلي الذي خاضت غماره او على صعيد الشعارات الاجتماعية والسياسية: الديموقراطية السياسية والاضراب العام، ارقى حركة عمالية بلغها وعي البروليتاريا الاممية في النصف الاول من القرن الماضي.

مهد لظهور الحركة الشارتية حدثان بارزان:

- مذبحة «بترلو» ١٨١٩: تحت وطأة الازمة الاقتصادية التي اعقبت سلم ١٨١٥ قامت مظاهرات عمالية ضخمة كانت احداها: مظاهرة مانشستر (اغسطس١٨١٩) التي ضمت٨٠ الف متظاهر. في البداية كانت المظاهرة سلمية، لكن ما ان تدخلت كتيبة الفرسان واعتقلت هونت، احد قادة المظاهرة، حتى تغيرت طبيعة المظاهرة ... وعندئذ شرعت القوات المسلحة تطلق النار خبط عشواء على

جموع العمال المتظاهرين فسقط ٤٠٠ جريح من العمال والعاملات. وهكذا دخلت «بترلو» في تاريخ الحركة العمالية كرمز للقمع الاعمى للبروليتاريا الثورة التي ستتوالى مسلسلاته لاحقا في جميع انحاء العالم تقريبا. ومن هذه المذبحة اكتشفت البروليتاريا في انجلترا ان القهر الطبقي ليس حدثا عارضا بل هو الطبيعة العميقة التي تحكم علاقة العمل برأس المال.

- ظهور ٤ جمعيات عمالية اساسية: **الاتحاد الوطني للطبقات الكادحة وغيرها**، جمعية **الاتحاد الكبير والوطيد لجميع المهن، جمعية العمال وجمعية لندن الديموقراطية**.

الاتحاد الوطني للطبقات الكادحة: اسسه في ١٨٣١ العامل لوفيت Lovett مع آخرين من تلامذة الاشتراكي الطوباوي الانجليزي أوين. وقد انتمى اليه ١٥٠٠ عضو اغلبهم من الحرفيين اللندنيين. عقد الاتحاد اجتماعات شعبية كان لها تأثير قوي في توضيح اهداف الاتحاد للجماهير الشعبية، كما نظم دروسا لرفع الامية بين العمال حتى يصبحوا قادرين على تثقيف انفسهم بأنفسهم من خلال الكتب والنشرات الثورية والصحف العمالية، واصدر صحيفة: **محامي الفقراء**.

شدد برنامج الجمعية على المطالبة بالاقتراع العام في سبيل اقامة **الديموقراطية الاقتصادية** كما شدد على واقع ان الطبقات الكادحة هي وحدها الطبقات المنتجة للثروة بينما الطبقة الحاكمة طبقة طفيلية لا ضرورة لها. وبهذا الصدد كتبت **محامي الفقراء**:

> **تذكروا ايها الاخوة بأنكم انتم، وانتم وحدكم، الذين تنتجون الثروة الحقيقية للبلاد.**

الاتحاد الكبير والوطيد لجميع المهن: وهو جمعية اسسها روبير وين لتضم جميع «الطبقات المنتجة» اي العمال ورجال الصناعة.

فقد كان وين لا يؤمن بالصراع الطبقي ويأمل، على غرار سان سيمون، ان يكسب الى دعوته رجال الصناعة انفسهم اذ كان يظن ان مصلحتهم متماثلة مع مصلحة عمالهم، وان عدوهم المشترك هو كبار الملاك العقاريين واجهزة الدولة. لكن الصراع الطبقي الفعلي تكفل بتقويض اوهام وين وتقويض اتحاده نفسه. ذلك ان نضال العمال ضد شروط عملهم دفع رجال الصناعة الى التصادم مع العمال والاستنجاد بالتالي بقوى قمع الدولة ضدهم.

كانت هذه الجمعية قائمة على اساس «المحفل الطوائفي». وقد استطاعت ان توطد اقدامها في المناطق الصناعية. وضمت حوالى ٢٥٠٠٠٠ عضو. وكان برنامجها على، صورة ايديولوجيا مؤسسها، اصلاحيا متواضعا لا يتجاوز حدود انشاء صندوق الضمان ضد المرض، صندوق للتقاعد وآخر للورشات التعاونية العزيزة على قلب وين. لكن جدل الصراع الطبقي قاد الجمعية الى ابعد من برنامجها نفسه: فقد دعمت ماليا عديدا من الاضرابات العمالية ضد اصحاب المصانع من بينها اضرابا قاده ٢٠ الف عامل.

وقادت الجمعية اضرابا عماليا عاما للحصول على يوم عمل من ٨ ساعات، اذ ان العمال كانوا يقضون في جحيم المصنع ما لا يقل عن ١٢ ساعة [١]. لم تعش جمعية وين الا بضعة شهور حيث وقعت في ١٨٣٤ بين سندان الافلاس المزدوج المالي والفكري ومطرقة القمع البوليسي.

١- في ١٨٤٧ صدر قانون انجليزي حدد يوم العمل ب ١٠ ساعات. وعنه قال ماركس في الجزء الاول من رأس المال بانه «ثمرة حرب اهلية طويلة والى حد ما مستترة بين الطبقة الرأسمالية والطبقة العاملة» كان خلالها

جمعية العمال: أسسها في ١٨٣٦ نفس مؤسسي **الاتحاد الوطني للطبقات الكادحة وغيرها** أمثال العامل لزفيت، جمس – واستون وهنري هترنجتون.

«العمال الانجليز هم قادة الطبقة العاملة والحديثة»، وبهذا القانون «انتزع العمال قانونا رسميا يمنعهم من ان يبيعوا انفسهم وعائلاتهم للموت والاستعباد بنقتضى عقد اختياري». لكن نضال البروليتاريا من اجل تحرير اكبر كمية ممكنة من وقتها لم يتوقف وهيهات ان يتوقف قبل ان تصبح سيدة مصيرها. ففي الربع الاخير من القرن الماضي فرض عمال العالم المتمدن يوم عمل من ٨ ساعات. ويوم العمل اليوم في بعض بلدان اوروبا الغربية من ٧ ساعات، واسبوع العمل من ٥ ايام. وما يزال العمال يناضلون لكي يعتبر الوقت الذي يقضونه في الذهاب الى العمل والاياب منه الى المنزل جزء من ساعات يوم العمل، كما يناضلون في سبيل تحرير اكبر كمية من وقتهم، الموظف في انتاج سلع لم يقرروا هم انتاجها ولا سلطان لهم على توزيعها، لكي يوظفوه في الراحة الضرورية لاستعادة الطاقة العضلية والعصبية التي اهدرت في العمل المأجور، والضرورية للتثقيف الذاتي والضرورية للاستمتاع بالحياة. وتعترف اليوم بعض اللجان الحكومية المختصة بانه في الامكان، في فرنسا مثلا، خفض ساعات العمل الى ٣ ساعات يوميا دون ان يصاب مستوى الانتاج بأدنى ضرر، شرط ان يسترد العمال حق تنظيم العمل بأنفسهم. وبمناسبة اسبوع العمل من ٣ ايام فقط في انجلترا مؤخرا برهن العمال، في المصانع التي اعطي لهم فيها حق تنظيم العمل، على امكانية انتاج ٨٠ و ٩٠ بالمئة من مستوى انتاج الاسبوع العادي. لكن لا بد من الانتباه الى ان هذه التجربة محدودة بحدود العمل المأجور الذي تمت في ظله. اما بعد الغائه وربط الانتاج بمتطلبات الحاجات الاجتماعية الفعلية والرغبات الفردية المتحررة من تضليل الموضة والاعلان، فان نتائج تنظيم المنتجين المباشرين لنشاطهم المنتج قد تتجاوز اجرا احلامنا اليوم.

اما تخفيض ساعات العمل الى ٥ ساعات يوميا على الاقل في البلدان «النامية» فهو ضرورة تتطلبها عملية التنمية نفسها التي لا سبيل اليها اذا ظل ملايين العاطلين عن العمل مبعدين عن الانتاج ومحرومين بالتالي لا من الحياة فحسب بل حتى من تأمين بقائهم. اذن لا بد من تخفيض يوم العمل الى اقصى حد ممكن وتوزيع ساعات العمل بين العمال العاطلين.

ما ميز هذه الجمعية عن جميع الجمعيات التي ظهرت حتى الآن في انجلترا هو انها كانت جمعية عمالية خالصة [١] لا وجود للحرفيين ولا للبورجوازيين الراديكاليين فيها. لقد اراد مؤسسو هذه الجمعية التخلص من قيادات المثقفين والبورجوازيين الراديكاليين. وهذا ما اوضحه لوفيت عندما تحدث عن وضع الطبقة العاملة تحت قيادة الزعماء:

> **بين يدي هؤلاء الزعماء الذين يتلاعبون بها كانت الطبقة العاملة تنقاد كالدمية المطواع لنزوات معبودها الموقت. وعندما تسقط هذه الاوثان الشعبية من عليائها تجد الطبقة العاملة نفسها اكثر ضياعا مما كانت (...) المسألة بالنسبة الينا هي معرفة ما اذا كنا قادرين على تنظيم واحياء جمعية تتكون حصرا من اناس ينتمون للطبقة العاملة. لأن الطبقة العاملة اذا تركت بين ايدي الزعماء تصبح دمية في ايديهم يحركونها في الاتجاه الذي يريدونه.. فكل تنظيم يجب ان ينطلق منا نحن انفسنا ويجب ان نسيره نحن بأنفسنا.**

١- يفكر بعض العمال الواعين بان الضمانة الاساسية لعدم تبقرط التنظيم اي لعدم انفصال اهدافه عن اهداف الطبقة العاملة هي ابعاد المثقفين عنه. وذلك ما فكر فيه بعض العمال في اوروبا القرن الماضي. ففي المؤتمر الاول للجمعية الاممية للعمال (الاممية الاولى) الذي انعقد في ١٨٦٦ بجنيف اقترح العامل الفرنسي تولان، احد مؤسسي الاممية، طرد «عمال الفكر» من الاممية. اعترض كرومر على اقتراح تولان محتجا بوضع ماركس المنظر «الذي كرس حياته لانتصار الطبقة العاملة»، ورد تولان: «كعامل اشكر المواطن كارل ماركس، لكن اعتقد انه من المفيد ان نبرهن للعالم بأننا متقدمون بما فيه الكفاية لكي نستطيع تصريف شؤوننا بأنفسنا». طرح الاقتراح للتصويت فلم ينل الا ٢٠ صوتا وصوّت ضده ٢٥ صوتا.

اذا كان بعض العمال يظن ان وجود المثقفين في التنظيم هو علة البيروقراطية، فهم بذلك يبرهنون على عدم ادراكهم للسبب الاعمق للبيروقراطية: التفرغ وسيطرة المراتب العليا على الدنيا ... والنقابات وهي منظمات عمالية صرفة متبقرطة، رغم عدم وجود المثقفين فيها، بسبب التفرغ اي انفصال العمال عن طبقتهم والمراتبية اي تسلط القيادة على القاعدة. انظر كتابنا:

التنظيم الثوري الحديث

الصادر عن دار الطليعة

كان **لجمعية العمال**، على حد قول لوفيت، «شرف انها كانت الاولى التي دشنت تقليد المراسلة الاممية بين عمال جميع البلدان». ومن المؤكد ان ماركس قد استلهم تقليد **جمعية العمال** هذا عندما انشأ في ١٨٤٦ **لجنة المراسلة الشيوعية**.

اوضحت **جمعية العمال** في بيانها الاول مضمون برنامجها:

سبب الشقاق الاحمق الذي يفرق بين الامم والشعوب يعود الى جهل الطبقة العاملة بالوضع الذي تحتله داخل المجتمع. ان الجهل وحده هو الذي يجعل العمال يعتقدون انهم ما وجدوا الا لكي يمتعوا غيرهم من الناس بثمار عملهم.

جمعية لندن الديموقراطية: قامت، الى جانب جمعية العمال، جمعية لندن **الديموقراطية** بقيادة مجموعة من الثوريين المتأثرين بأفكار الثورة الفرنسية وبأساليب الجمعيات التآمرية التي ظهرت في فرنسا كاحتجاج على خيانة البورجوازية للثورة الشعبية. وابرز منظري هذه الجمعية كان برونتز اوبريان O'Brien الذي ترجم الى الانجليزية كتاب بيوناروتي، تلميذ ورفيق بابوف، **تاريخ مؤامرة الانداد.**

العريضة التي تضمنت برنامج جمعية لندن والتي صاغها في برمنجهام عمال متخصصون تضمنت نفس المطالب الست التي تضمنها **«الميثاق الشعبي»**.

نشرت **جمعية العمال** في ٣ مايو ١٨٣٨ الميثاق الشعبي الذي سيصبح برنامج المرحلة القادمة من نضال البيروليتاريا في انجلترا.

ركز الميثاق على تحقيق الاهداف التالية: الاقتراع العام، السري والمتساوي لجميع الناس، التوزيع المتساوي للدوائر الانتخابية، دفع التعويضات البرلمانية، تقصير مدة البرلمان وبالتالي تحويل انجلترا

الى ديموقراطية. هكذا انصب فكر الشارتية، منذ ظهورها، على ان الديموقراطية السياسية تحمل بين طياتها، وكتحقيق اسمى لمعناها ولتطورها الاكثر اكتمالا، تحقيق الاشتراكية:

اننا نعتقد بان الاقتراع العام سوف يعطينا البيرة والخبز واللحم، وانه سوف ينشر السعادة الشاملة. والخيار المطروح اليوم هو: اما ان توجد السعادة الشاملة للجميع واما ان يشاطرنا طغاتنا وظالمونا التعاسة التي قاسيناها. (لوفيت).

من هنا كانت اوهام القادة الشارتيين حول جدوى الاحزاب البورجوازية الديموقراطية وبالتالي حول امكانية تجنب خوض الصراع الطبقي حتى النهاية.

ما ان تشكلت الحركة الشارتية، كحركة اصلاحية، بالعنصر الغالب في قيادتها وبرنامجها، حتى تحولت الى حركة ثورية عمالية منفلتة من رقابة الزعماء الاصلاحيين ومن تأثير الجماهير الحرفية والبورجوازيين الراديكاليين.

تحولت الشارتية الى حركة ثورية عندما دخلت صفوفها جماهير عمال المدن ذوي «الوجوه المسودة» وتغلبوا على الحرفيين فيها.

كانت اجتماعات العمال والعاطلين عن العمل تعقد في شمال شرقي انجلترا ليلا على ضوء المشاعل. وكان يحدث غالبا عندما يعلن خطيب من خطباء هذه الاجتماعات بان «ساعة الثورة دقت» طالبا من الحاضرين:

هل انتم على استعداد؟

حتى يسمع الرد بالايجاب من زخة رصاص يطلقها العمال المسلحون الذين

«شبعوا»، على حد قول جريدة نورتن ستار، اقوالا، وهم اليوم يريدون افعالا.

اصبح القس Stephens ستفنس، الذي اشتهر بعدائه للرأسماليين **«أعداء الله»** على حد قوله، احد خطباء الحركة الاكثر عنفا ودعوة للثورة متخفيا تحت اسم العدالة المسيحية. فقد كان يعلم في الجموع العمالية الحاشدة:

الشعب متحمس ومصمم، ان يسلح نفسه وهو مستعد لكي يجرب فضيلة السيف.
اذا كانت البندقية والمسدس، واذا كان السيف والرمح، اذا كانت هذه الاسلحة جميعا غير كافية، فلتأخذ النساء الاجلام، وليأخذ الاطفال الدبابيس او الابر، واذا فشلت كل هذه الاسلحة فعليكم عندئذ بالشعلة الملتهبة، نعم بالشعلة الملتهبة، وأعيد بالشعلة الملتهبة لكي تضرموا النار في جميع القصور.

في ١٤ نوفمبر ١٨٣٨ اراد القس الثائر ان يعرف ما اذا كان مستمعوه مسلحين، فجاءه الجواب بضعة طلقات نارية. وزار فيهم: هل هذا كل شيء؟ فسمع الرد هذه المرة زخا متواصلا. وسأل: من هم الذين يريدون منكم شراء السلاح؟ فردت بالايجاب جميع ايدي الحاضرين التي ارتفعت. وعندئذ رد القس ممتنا: ارى كل شيء على ما يرام، طابت ليلتكم. وعندما اعتقلته السلطات في ٢٨ ديسمبر ١٨٣٨ تحرك العمال للقيام بانتفاضة مسلحة، لكن احد زعماء الاتجاه الاصلاحي اوكونور، المنحدر من اسرة مالكة والذي كان يصدر جريدة نورتن ستار التي تطبع ٤٠ الف نسخة، استطاع بصعوبة افشال التحرك وترك القس لمصيره.

تحت تأثير الازمة التجارية (١٨٣٩-١٨٤٣) والتسريح الكثيف للعمال استطاع زخم الحركة البروليتارية ان يتخطى بسرعة

مضمون «الاصلا الاخلاقي» في الميثاق، ليصل الى العنف. اي ان الحركة الفعلية للعمال، التي امتدت الى كل البلاد، انتقلت، نظريا، الى حد ما، وعمليا، الى حد كبير من المثقفين البورجوازيين والحرفيين الى العمال. وبذلك انشقت الحركة الى جناحين اصلاحي وراديكالي: الاول يريد اعتماد النضال المطلبي الطويل النفس والتحالف مع الاتجاهات الراديكالية داخل البورجوازية الصناعية الانجليزية، والثاني يرى ان الاضراب العام هو سلاح المعركة الحاسم، وان الطبقة العاملة لا حليف لها في انجلترا آنذاك.

كان نمط نضال الحركة الشارتية هو: **الحركة الجماهيرية الواسعة والعلنية** في سبيل مصلحة اوسع الجماهير الشعبية الكادحة. وكان **المؤتمر العام والمنتخب هو الذي يتكلم باسم الحركة ويصوغ مطالبها**. لكن لم يكن هناك اي تنظيم قاعدي باستثناء الاجتماعات العامة التي تعقد بدون انقطاع وتتخذ خلال انعقادها جميع القرارات. لم تكن هناك خلايا ولا كانت هناك لجان مديرة بل جماهير عمالية ثائرة تقرر مصيرها بنفسها مباشرة.

فبراير ١٨٣٩ انعقد المؤتمر الشارتي (برلمان العمال) في لندن، في الصالة الخلفية لاحدى المقاهي. يقول احد الصحفيين الذين حضروا هذا المؤتمر:

استوقفني اولا وقبل كل شيء تعبير الملامح، اذ لم اكن قد رأيت من قبل في الاجتماعات الانجليزية (البورجوازية) الا وجوها متماثلة تماثلا مضنيا ... اما هنا فاني ارى العكس تماما، فكل رأس يمثل فردية متميزة.

انتخب المؤتمر منذ افتتاحه العامل لوفيت سكرتيرا وانتخب قيادة كان معظمها اصلاحيا. لكن القادة الاصلاحيين ما لبثوا ان اقصوا

عن الحركة تحت ضغط جماهير العمال التي كانت تشجب اثناء الاجتماعات في المحافظات «اولئك الذين خانوا الشعب».

دامت اجتماعات المؤتمر ثلاثة شهور، لكن منذ الايام الثلاثة الاولى وقع العريضة الشارتية نصف مليون عامل. وكان جميع الموقعين، الذين تتراوح اعمارهم بين ١٠ و ٦٠ عاما، على استعداد لدعم توقيعاتهم بالرماح. وغدت فكرة الاضراب العام مقبولة من الجميع تقريبا. والجدير بالذكر ان الخمار بنبو Benbow هو الذي اقترح الاضراب العام كسلاح عمالي ثوري عندما كتب عام ١٨٣٢ كراسه: **العيد الوطني الكبير ومؤتمر الطبقات المنتجة**، حيث تخيل: «اضرابا شاملا تقوم به القوة المنتجة في وقت واحد» وخلال شهر يقام **عيد ضخم** يتفق فيه العمال على التدابير التي لا من اتخاذها.

١٩ مايو اعتقل المناضل فانسان، وبعد بضعة ايام من اعتقاله دعا المؤتمر الشارتي في بيان الى الاستعداد لخوض الكفاح المسلح.

في يونيو عقدات اجتماعات شعبية برئاسة خطباء شارطيين. وفيها صادقت الجماهير الملتهبة حماسا على قراران:

الجماهير مساعدة للدفاع عن نفسها باسلحة الاحرار.

كانت الجماهير فعلا مستعدة للنضال لكن القادة الشارتيين كانوا منقسمين على انفسهم. اذا كان بعضهم، هارني، مكدونال... يحرضون بالتمرد فان آخرين كانوا ما زال يؤمنون بجدوى الاقتراع العام وبتاكتيك ان يكون رعب الطبقة السائدة هو عقابها الوحيد:

علينا ان نرعب اعداءنا بان نجعلهم معلقين فوق شدق الجحيم، لكن علينا ان لا ندعهم يسقطون فيه.

ادرج المؤتمر الشارتي، (٣ يوليو) في جدول اعماله مناقشة التدابير اللاحقة. ٤ يوليو: تمرد عمالي في برمنجهام، اعتقال الدكتور تايلور، احد القادة الراديكاليين، وفي ٥ يوليو اعتقل لوفيت. وفي ١٢ يوليو رفض مجلس العموم العريضة الشارتية. وعندئذ حدد المؤتمر الشارتي يوم ١٢ اغسطس لشن الاضراب العام. لكنه ما لبث، بعد ايام قلائل، ان تراجع وباقتراح من اوبريان:

ترك للشعب ان يقرر بنفسه ما يريد اتخاذه.

وفي ٦ سبتمبر قرر المؤتمر الشارتي حل نفسه.

انتهت هذه الفترة العنيفة بمحاولة يائسة قام بها عمال مناجك نيوبورت: ففي ٤ نوفمبر توجه، بقيادة جون فروست، ٢٠٠٠ عامل مسلحين بالبنادق والرماح والعصي الى السجن لتحرير رفيقهم فانسان. التحق، بعمال المناجم هؤلاء، فريقان آخران من العمال، لكنهم وصلوا متأخرين فلم يجدوا في انتظارهم الا الفوج ٤٥ من الجيش الانجليزي,

كانت نتيجة هذه المحاولة اليائسة ١٤ قتيلا، شنق جون فروست وتمزيق جثته، وصدرت احكام بالسجن على عدد من القادة الشارتيين.

زاد فشل الانتفاضة من انقسام اتجاهي الحركة الشارتية. فتشكلت في ١٨٤٠ **الجمعية الوطنية الشارتية** بقيادة اوكونور و«طردت من صلبها متملقي الطبقة الوسطى». وشكل لوفيت جمعية منافسة فضلت ان تكون على اتصال بالبورجوازيين الراديكاليين، انصار حرية التبادل لانهم كانوا يرون في الحماية الجمركية «سبب مصائب انجلترا».

لقد استرد الاصلاحيون الكلمة بعد خمود الحركة العمالية. لكن الحركة استيقظت من جديد وبلغت قمتها في ١٨٤٢، عندما شن عمال المدن سلسلة من الاضرابات احتجاجا على تخفيض اجور العمال.

دشن عمال استوم هذه الاضرابات. ومن استوم انتشر الاضراب في جميع المدن الصناعية انتشار النار في الهشيم. وفي اكثر من منطقة صناعية تحول الاضراب العام الى انتفاضة. وفي برستون، حيث كان الجيش يطلق النار على العمال المضربين ونسائهم، لم يكن بيد هؤلاء من سلاح سوى الحجارة. ولهذا اسفر غبار هذه المعركة غير المتكافئة عن عشرات من القتلى والجرحى كلهم تقريبا من العمال ونسائهم.

في ١٧ اغسطس قرر العمال في اجتماع عام:

وجوب التوقف عن العمل،
الى ان يصبح الميثاق هو قانون البلاد.

استقبل العمال المضربون هذا القرار بحماس. وفي ١١ اغسطس انعقد في مانشستر مؤتمر «مندوبي عمال مختلف المهن **المنتخبين** حميعا من عمال مهنهم». وتقول جريدة نورتن ستار:

كان رأي هذا المؤتمر انه طالما لم يلغ كليا التشريع الطبقي القائم، وطالما ظل مبدأ اتحاد العمال دون تنفيذ، فان العامل لن يتمكن من الاستمتاع بثمار عمله.

وافق مندوبو العمال في المؤتمر اعلان الاضراب العام ب ٥٨ صوتا من ٨٥ صوتا. وفي ١٥ اغسطس وضع قرار الاضراب

موضع التنفيذ. وقد اعرب كوبر عن تصميم العمال على خوض الصراع قائلاً:

سيؤدي انتشار الاضراب الى تمرد عام. ستحاول السلطات قمعه (...) علينا اذن ان نقود الشعب الى المعركة؛ واذا اتحد العمال فانهم يصبحون قوة لا تقهر.

لكن اتحاد العمال كان ضعيفا، واغلبية المندوبين قد صوتت على الاضراب لم تبيت من وراء الاضراب تحقيق هدف واحد: ان يصبح الميثاق هو دستور البلاد، بل ان بعض المندوبين كان يهدف من الاضراب الى تحقيق اهداف مطلبية ضيقة، والبعض الاخر كان يريد منه فعلا ارغام الحكومة القائمة على قبول الميثاق. وبعض القادة الشارتيين امثال اوكونور لم يقبل الاضراب الا على مضض. وربما لهذا السبب رأى مكدونال، احد قادة الجناح الراديكالي للحركة الشاوتية، في قرار مندوبي العمال «مغزى رمزيا فقط» لانه اذا لم يكن كذلك:

يكون اعلانا للحرب، واذا كان اعلانا للحرب، فلن انصح الجماهير بان تصطف للقتال امام الجيش.

لذلك كان اضراب ٢٠ اغسطس نصف فاشل. وكانت الحركة الشارتية نفسها تشارف على نهايتها. وفعلا فقد سجل مؤتمر برمنجهام (١٨٤٢) انفجار الحركة الشارتية الى اتجاهات عدة تحاول كل منها تفسير فشل الحركة.

لقد انتهت الحركة **تاريخيا** بنهاية الاضراب.

كانت الحركة الشارتية، بكل **حدودها**، اول حركة **عمالية** مستقلة عن البورجوازية الراديكالية الى حد كبير، وكانت اول تعبير تاريخي

عن وعي البروليتاريا كطبقة لا حليف لها في المجتمع الانجليزي، حيث كان الفلاحون سند البورجوازية العقارية الحاكمة وكانت البورجوازية الصناعية تناضل لحساب نفسها ضد فرض الحماية الجمركية خاصة على القمح. لقد كانت الحركة الشارتية، كأول تجربة بروليتارية حاسمة، مصدر الهام اساسي في تكوّن النظرية البروليتارية الثورية: انجلز تشبع بأهداف ونمط تسيير الحركة الشارتية، وماركس تبنى، متجاوزا الى درجة في التحليل والاستنتاج ارقى، شعارات برونتر اوبريان وبعض شعارات العامل لوفيت حول نمط التنظيم البروليتاري. وذلك واضح تماما في الفقرة التي كرساها للتنظيم في البيان الشيوعي والتي ما تزال العمود الفقري لكل نظرية تنظيمية حديثة.

اما حدود الحركة فهي انقسامها على نفسها وسيطرة القادة الاصلاحيين عليها. لكن ذلك الانقسام وهذه السيطرة لم يكونا مجرد مصادفة نحسة. بل انهما كانا تعبيرا عن انقسام عميق في داخل البروليتاريا الانجليزية ذاتها بين تيارين متعايشين في صلبها: التيار المطلبي او الاصلاحي والتيار الراديكالي؛ كان التيار الاول يرى ضرورة اقناع الطبقة الحاكمة بالتي هي **احسن** لتلطيف همجية الاستغلال ١٢ و ١٤ ساعة يوميا، والقادة الاصلاحيون كانوا في وقت واحد تعبيرا عن هذا التيار وبوقا لتعميمه وتعميقه على و في البروليتاريا ككل. اما التيار الآخر، الراديكالي، فقد كان يرى، عن حق، انه لا سبيل «لاقناع» الطبقة الحاكمة الا بالتي هي **اخشن** لقبول الميثاق. لكنه كان يعرف بالوعي نصفا وبالحدس نصفا صعوبة، أكاد أقول استحالة، انتصاره. وقد كان القادة الراديكاليون، بدرجات متفاوتة وبعدم تماسك ملحوظ، تعبيرا عن وعيه وحدسه، وتصريح ماكدونال السابق يندرج في هذا السياق.

يجد واقع البروليتاريا الانجليزية هذا تفسيره في واقع ان شروط الثورة البروليتارية كانت لم تنضج بعد بما فيه الكفاية لا في الواقع الفعلي الانجليزي والعالمي (سيطرة الزراعة على الصناعة، وعدم استنفاد البورجوازية الصناعية لجميع امكانياتها الخلاقة) ولا في وعي البروليتاريا الثورية في انجلترا واوربا (تفوق الفلاحين عدديا على العمال وتفوق الايديولوجيا الجمهوية البورجوازية الراديكالية على الوعي البروليتاري الجنيني).

٢- فرنسا

سيرى القارئ من خلال الوقائع درجة تأثر الحركة الثورية في فرنسا بالحركة الشارتية التي تأثرت بدورها، لكن بحدود بأفكار الثورة الفرنسية والعنف البابوفي.

لم توجد قبل ثورة يوليو ١٨٣٠ الا جمعيات سرية ديموقراطية ثورية من طراز جمعية الفحامين (هكذا سميت لان اعضاءها كانوا يجتمعون في الغابات) وجمعيات اغاثة متبادلة بين العمال، منظمة على نموذج جمعية الفحامين، اطلق عليها اسم «صناديق المساعدة» او حتى «البورصة» والتي تسمت فيما بعد بجمعيات المقاومة.

مارست هذه الجمعيات نشر تحريضها بين الطلاب والجماهير البورجوازية الصغيرة خاصة الحرفية منها والعامة في المدن. ويمكن ان نعتبر، بشيء من التبسيط، ان ثورة ١٨٣٠، التي قاتل فيها العمال والبورجوازيين الصغار في المدن جنبا لجنب قتالا مجيدا طوال ثلاثة ايام، والتي اسفرت، عكسا لما كان يتطلع اليه مقاتلوها،

عن تتويج لويس فيليب، ملك الجناح المصرفي والمالي من البورجوازية الفرنسية، كانت حصادا للنشاط الصوري الديموقراطي ولغياب البروليتاريا الفرنسية الناشئة كطبقة واعية ومستقلة.

كانت هزيمة العمال والعامة في ثورة ١٨٣٠، برؤيتهم البورجوازبة المالية تقطف وحدها ثمارها، كما كانت الاضرابات العمالية الاولى الكبرى التي خاضها عمال النسيج في ليون بين ١٨٣١ – ١٨٣٤ هي المناخ الذي ولدت فيه الجمعيات العمالية التي شرعت ترفع بوضوح متفاوت الدرجات مصالح «الشعب» اي العمال والديموقراطية البورجوازية الجمهورية في وجه مصالح «البورجوازية» اي البورجوازية المصرفية والمالية الملكية الحاكمة.

شكل عمال النسيج في باريس ١٨٣٢ **جمعية الاتحاد الاخوي الانساني**. لم تكن اهداف هذه الجمعية ارقى من اهداف جمعية **الواجب المتبادل** [1] لكنها كانت اقل مراتبية واكثر ديموقراطية.

في نفس هذه السنة شكل عمال خياطة الملابس في باريس جمعيتهم.اقيمت الهيئات التنظيمية لهذه الجمعية على منوال هيئات جمعية حقوق الانسان الجمهورية البورجوازية التي سنعود الى الحديث عنها بعد قليل.

سجل التنظيم العمالي خطوة حاسمة في ١٨٣٣. ففي مايو شكّل عمال الطباعة بنانت **جمعية الاغاثة والدفاع** التي استطاعت ان تنظم بنجاح اضرابا عماليا. وقد اصدرت بيانا جاء فيه:

١- جمعية طوائفية تكونت بليون ١٨٢٨، هدفها مساعدة المعوزين من اعضائها، البحث لهم عن عمل وتكوينهم مهنيا.

لنقل الى السادة معلمي الطباعة، نحن لا نحسدكم لا على ثرواتكم ولا على ملاذكم! كلا، (بل اننا نريد) اجرة قادرة على ان توفر لنا فراشا متواضعا ومنزلا يحمينا من عوادي الطبيعة، وخبزا لشيخوختنا، وصداقتكم مقابل صداقتنا.

هنا ايضا ما زالت روح المنظمات الحرفية مسيطرة: ما زال العمال يتكلمون لغة الاسترحام لا لغة المطالب المفروضة وما زالوا يناضلون، بالتي هي احسن، من اجل البقاء على قيد الحياة لا من اجل تحررهم الطبقي وتحرير المجتمع كله بالتالي.

في اكتوبر ١٨٣٢ اسس عمال طباعة بوردو وليون جمعياتهم. وفي باريس ظهرت **الجمعية الانسانية لعمال الابنوس بحي سانت انطوان**. وتبعها سيل من الجمعيات التي غطت او كادت جميع المهن.

ولدت الحركة العمالية المنظمة من صلب الحركة البورجوازية **الجمهورية** على عهد الردة الملكية، خاصة على عهد لويس فيليب.

من بين التنظيمات الجمهورية التي حازت على عطف العمال وتأييدهم نجد «جمعية حقوق الانسان» التي كانت بعض فروعها عمالية خالصة.

تطورت النظرية الجمهورية نحو الاشتراكية بحكم انضمام العمال للحزب الجمهوري البورجوازي، بينما بدأت الحركة العمالية الناشئة تتسيس بحكم احتكاكها بالجمهوريين. وهنا في رأينا **ممكن الداء**، اذ ان اول تجربة تنظيمية لعمال فرنسا قد تمت حسب **التقاليد البورجوازية، من اجل اهداف بورجوازية:**

اقامة الجمهورية. لقد كانت التقاليد اليعقوبية (روبسبيير) وفي احسن الحالات البابوفية [1] هي المثل الاعلى للجمعيات العمالية الناشئة في فرنسا.

كانت مناسبة لقاء الحركة الجمهورية بالعمال هي انتفاضة عمال النسيج بليون (اواخر نوفمبر ١٨٣١)، التي كانت اول انتفاضة

١- بابوف (١٧٦٠ – ١٧٩٧) متآمر ثوري من اصل بورجوازي صغير. اعتقل في مايو ١٧٩٠ على اثر اشتراكه في مظاهرة شعبية ضد الضرائب غير المباشرة. انتخب في سبتمبر ١٧٩٢ مدير محافظة. وبعد عزله من منصبه التحق بباريس سنة ١٧٩٣. حيا سقوط روبسبير لكن التريميدوريين اعتقلوه. وبعد اطلاق سراحه التجأ الى السرية وانهمك في اعداد جمعية الانداد التآمرية **La Conspiration des Egaux**. حكم عليه بالاعدام في مايو ١٧٩٧ ونفذ فيه من اجل هذه المؤامرة. وهي الجمعية التي شكلها بابوف من الجنود والعمال وبرنامج الجمعية تلخصه كلمات بابوف الشهيرة: «ثورة الفقراء على الاغنياء ضرورة لا مناص منها». واذا كان سان جوست يقول: «السعادة فكرة جديدة في اوروبا». فان بابوف يريد ان تكون هذه السعادة «هنا وفورا». ويرى بابوف ان على الطبقة العاملة ان تكون جيشا مهمته تنفيذ الانتفاضة التي اعدت خططها لجنة ثورية سرية.لقد كانت هذه الجمعية اول احتجاج ثوري على النظام البورجوازي، على مالكي «الذهب» كما كان بابوف يسميهم، كما كانت اول تبشير شعبي بامكانية ظهور مجتمع ثوري جديد «لا مكان فيه للاغنياء ولا للفقراء»، «مجتمع حقيقي»، «مجتمع الانداد المتساويين» الذي هو البديل الضروري لمجتمع الاضداد الذي اسفرت عنه ثورة ٨٩.

كان فيليب بوناروتي من ألمع زعماء ومنظري مؤامرة الانداد وهو سليل ميشيل انجلو واصبح مواطنا فرنسيا بمرسوم من ثورة ٩٣ التي اشترك فيها. وهو الذي نقل مباشرة التراث البابوفي الى الجمعيات العمالية الثورية التي ظهرت في النصف الاول من القرن التاسع عشر. وكان لكتابه «١٨٢٨»: **تاريخ المؤامرة من اجل المساواة المعروفة بمؤامرة بابوف** تأثير قوي على زعماء الجمعيات التآمرية وعلى رأسهم رب التآمر الاعلى: اوجست بلانكي وعلى الطبقة العاملة التي كانت ما زالت لم تبلغ بعد سن الرشد، سن الاستقلال وعيا وتنظيما، سن النشاط الطبقي العلني.

اطلق ماركس على بابوف اسم: «مؤسس اول حزب شيوعي فعال» الا انها «شيوعية بدائية» لانها «لم تحل ايا من المشاكل الاجتماعية بمنظور البروليتاريا».

في «مؤامرة الانداد» (١٧٩٦) جمع بابوف حواليه اصدقاءه الذين تعرف عليهم في السجن وشكل منهم لجنة مركزية سرية من المدنيين والعسكريين المنظمين في خلايا لا علاقة لواحدة منها بالاخرى، مهمتها تكوين شبكات في الاحياء. واعد خطة الانتفاضة برصد مستودعات الذخيرة التي لا بد من الاستيلاء عليها فورا «لتأمين نجاح الانتفاضة»، والى جانب هذه الهيئات العسكرية يوجد فرع متخصص بالدعاية: كراريس، اغاني، ملصقات الخ. وعندما افتضح امر المؤامرة لم يجد «فن الانتفاضة» بابوف شيئاً. ومن جميع الخلايا والشبكات التي كونت لم تتحرك الا خلية حي سانت انطوان.

بروليتارية عفوية ضد رأس المال ومن اجل «العدالة» و «المساواة»، وكان شعارها: «اما ان نعيش احرارا عاملين واما ان نموت مناضلين». وقد تم هذا اللقاء بين الحزب البروليتاري والحزب الجمهوري عبر **جمعية اصدقاء الشعب،** التي تعاطفت مع الانتفاضة البروليتارية ووزعت مناشير تأييدا لها شاجبة الاستغلال والامتيازات.

تحولت جمعية اصدقاء الشعب في ١٨٣٢ الى **جمعية حقوق الانسان،** التي سرعان ما اصبح اعضاؤها يعدون بالالوف بعد ان كان اعضاء جمعية اصدقاء الشعب لا يتجاوز بضع مئات. والسواد الاعظم من منخرطيها كان من العمال، الى درجة ان عددا هاما من فروع الجمعية كان يرتكز على قاعدة مهنية بحتة (خياطين، نحاتين، اسكافيين ...). وفي هذه الفترة **أغرقت فرنسا بالنشرات الثورية والكراريس التثقيفية**. فخلال ٣ شهور من عام ١٨٣٣ وزع ما لا يقل عن ٦ ملايين نسخة من مختلف النشرات الشعبية.

بدأت الطبقة العاملة، وهي بعد صبية، تلد من صلبها عمالا يحاولون ادراك وضع طبقتهم ويتلمسوه شتى الوسائل لخلاصها من جحيم العمل المأجور.

كما كانت التنظيمات العمالية، على صورة البروليتاريا ذاتها بدائية كانت نظريتها بدائية وكذلك كان منظروها الذين كانوا ما زالوا يتحدثون مع الطبقة، التي تصادر منهم وقتهم وفائض قيمة عملهم، بلغة الانسانية والعدالة والاخلاق والمحبة، لا بلغة الحرب والاحقاد الطبقية. لكن بالرغم من كل ذلك استطاع اوعى العمال، بفضل حسهم الطبقي اليقظ، ان يدركوا ويعلنوا **كرامة** البروليتاري **وحقارة** البورجوازي، وان يعوا ضرورة اتحاد البروليتاريا لخوض وقيادة الصراع الطبقي. وان يعوا ويحدسوا نصفا بضرورة ظهور

سلطة البروليتاريا الثورية. فهذا عامل الخياطة جرنيون Grignon يكتب في كراسه: **تأملات عامل خياطة في بؤس العمال وضرورة الجمعيات** رافعا شعار ضرورة تكوين الجمعيات العمالية للصمود امام وحشية رأس المال، وذلك «في انتظار ظهور حكومة شعبية»، ومن اجل «تقديم المساعدة والغوث لمن هم اكثر احتياجا، ومن اجل ان **نحدد نحن العمال بأنفسنا الحد الاعلى لدوام يوم العمل والحد الادنى لاجرة يوم العمل**»، «وعلينا ان ندعو اخواننا في المهن الاخرى للاقتداء بنا. وعندئذ سيكون رب العمل مرغما على الخضوع **لحكم العمال**». واختتم جرينيون كراسه باقتراح يدعو الى انتخاب «لجنة مركزية» لمختلف الجمعيات العمالية تشرف على تنسيق وتنظيم نضال العمال ضد رأس المال. والجدير بالذكر ان جرينيون كان عضوا في جمعية حقوق الانسان التي ضمت اوعى عمال تلك الفترة.

كانت فترة التضامن البروليتاري اي تخطي العمال لطور البعثرة والتنافس على الفوز بالعمل الى طور الاتحاد البروليتاري المنظم هي الفكرة الجوهرية السائدة بين جماهير العمال طوال هذه الحقبة. اما الافكار البلانكية (السياسية)، التي سادت هي الاخرى في هذه الحقبة، فلم يكن العمال يعتنقونها الا كايديولوجيا ثانية.

نجد اصداء فكرة التضامن البروليتاري تلك قوية في كراس عامل الطباعة جول لورو Jules Leroux: **حول ضرورة تأسيس جمعية هدفها تمليك العمال لوسائل عملهم.** يقول الصفيف لورو، الذي هو اول من استخدم كلمة «الاشتراكية»، في ندائه: **الى عمال الطباعة:**

اننا ما زلنا نتحاسد ونغار من بعضنا، اننا اعداء .. لا وجود لروابط توحدنا، ولا وجود لعلاقة تجعلني أتألم عندما يتألم جاري. ان طبقتنا غير موجودة. ليس هناك سوى افراد ... ان خلاصنا بأيدينا وبأيدينا وحدنا ...

لا بد هنا من التنويه بأنه في الثلث الاول من القرن التاسع عشر ادرك عامل الطباعة لورو حقيقة ما زال ادراكها يعيي الاذهان المكدودة لحمير عصرنا من الاعراب والاغراب وهي ان المخترعين عمال يبيعون، كباقي العمال، وقتهم وفائض قيمة عملهم الذهني والعضلي للطبقة المتحكمة في تقسيم العمل وتوزيع فائض القيمة. ولهذا حيا لورو في كراسه «مخترعي الميكانيك الذين انحدروا، بأغلبيتهم، من صلبنا، من صلب الشعب». ودعاهم الى الالتحام برفاقهم العمال اليدويين.

نفس الدعوة الى ضرورة التضامن الطبقي بين العمال نجدها في نشرية العمال الاسكافي افراهم Efrahem: **ضرورة اتحاد عمال جميع المهن:**

«نحن الذين نتألم لا نستطيع ان نعتمد الا على انفسنا. اننا نشعر بالداء فلنبحث له عن دواء عاجل وناجح ولنستعمله. أعتقد ان دواءنا سوف نجده في الاتحاد. ان للاتحاد مزية مزدوجة هي تجميع كل القوى واعطاء هذا الكل قيادة... لا بد من رابطة تجمعنا وعقل يحكمنا، لا بد لنا من جمعية يكون دورها تنظيم العلاقة مع أرباب العمل، وتنظيم الاضرابات للضغط عليهم. وسوف نعطي لجمعية مصالحنا وحقوقنا وشجاعتنا رأسا يفكر، وارادة ذكية وصلبة تطبع العمل وتقود الحركة. وسوف نضع على رأس كل مجموعة سلطة واحدة ومركزية: هذا الرأس الذي يفكر وهذه الارادة التي تحكم، هذه السلطة القوية التي تديره سوف نجدها في اللجنة المركزية لجمعيتنا... ايها العمال لا امل لنا الا في انفسنا».

من بين هؤلاء العمال العصاميين الذين كانوا يصدرون النشرات الثورية على حسابهم – اذ لم يكن يوجد بين تجار نشر الكتب يومئذ، وكذلك ما يزال الحال اليوم خاصة عندنا، من يقبل طائعا باعطاء الكلمة لعامل ليقول كل ما يضيق به صدره وينطلق به قلمه – نجد بعض العمال التجأوا الى الحديث عن اوضاعهم الخاصة، التي يتعرف فيها كل واحد من ابناء طبقتهم على وضعه الخاص، فيما يشبه الرسائل المفتوحة. فهذا العامل الشارتي مولون يكتب:

دعوني الان اتحدث لكم عن نفسي لا بقصد ان استأثر بأكبر قسط من اهتمامكم، بل لكي ابرهن لكم على اني لا اتحدث انطلاقا من «السماع» بل انطلاقا من آلامي المعاشة. ولهذا يحق لي ان اطلب عفوكم عن كل حرارة في التعبير قد تبدو وكانها من العنف او تكاد.

وهذا عامل الساعات شارل بيرانجي Beranger يكتب هو الآخر في رسالة مفتوحة: **شكوى عامل ساعات الى البرلمان** (١٨٣١) داعيا للثورة مستلهما المسيح وسبارتاكوس:

لا احسن البلاغة. لكن اعلموا جيدا بأني، اذا كنت لا احسن البلاغة، فان لي اطفالا وزوجة وأما ايضا... ان المزاح يشق على نفسي عندما اتخيل بعد لحظة اني اسمع صراخا في اذني: «شوية خبز» وأجد نفسي عاجزا على تقديم ذلك.

ان ما اقصده بكلمة شعب هو كل من يعمل، كل من ليست له حياة اجتماعية، كل من لا يملك شيئا اي البروليتاريين.

انظروا الى هذا البروليتاري الآخر، يسوع الناصري، الذي بشر بالمساواة والاخوة... الذي قلب النظام القائم... تصوروا ماذا يحدث لو ان احدا من هؤلاء البؤساء (البروليتاريين) اراد ان يصنع صنيع يسوع وسبارتاكوس؟

تزامن ظهور هؤلاء العمال **الكتّاب** الذين كانوا بكراريسهم ونشراتهم يغنون آلام وآمال الطبقة العاملة مع ظهور **الصحافة العمالية** الاولى في هذه الحقبة. ففي باريس صدرت **جريدة العمال والحرفي والشعب**. وفي ليون صدرت جريدة **المنبر البروليتاري، وصدى المصنع الرائد**.

كان جل محرري هذه الصحف من العمال الذين وعوا بأن عليهم، للتمكن من اسماع صوتهم بأنفسهم، ان «يمسكوا اداة العمل نهارا واداة الكتابة ليلا» كما كانوا يقولون.

لماذا اصدار الجرائد العمالية؟ هذا هو السؤال الذي طرحته وأجابت عليه **جريدة العمال:**

«لقد لاحظنا ان طبقة العمال الجمة الفائدة كانت حتى الآن الطبقة الوحيدة التي لا تمتلك جريدة خاصة بها مكرسة للدفاع عن حقوقها، ومكرسة كذلك لنشر المذاهب المفيدة للقضاء المبرم على الاوهام التي ما زالت رائجة».

تكاد معظم صحف تلك الحقبة، التي استمر بعضها يصدر صدورا متقطعا الى بداية النصف الثاني من القرن الماضي، تجمع على رفع الشعارات الطبقية التي تضع في المقدمة مصلحة البروليتاريا، باعتبارها هي الشعب، هي الطبقة المفيدة الوحيدة بالقياس الى طبقة الرأسماليين الطفيلية:

«ليس الشعب في نظرنا الا الطبقة العاملة» (الحرفي)

بما اننا نحن انفسنا عمال فاننا اقوى من غيرنا احساسا بحاجات اخواننا (جريدة العمال).

كان اصدار الصحف العمالية محاولة لكي تحقق الطبقة العاملة، في ميدان الاعلام، استقلالها عن وسائل اعلام الطبقة السائدة التي هي احدى اسلحتها لقمع العمال اديولوجيا بنشر الكذب المنظم بينهم.

انتهت الحركة العمالية الاولى في ١٨٣٤ باستفزاز بوليسي نظمه تيير (جزار الكومونة [١]) ووزير داخلية لويس فيليب اذ ذاك. اذ دفع عمال باريس الثوريين الى الانتفاضة في ابريل ١٨٣٤ ثم ارسل عليهم ما لا يقل عن ٤٠ الفا من كلابه الدموية لسحقهم. وقد كان شعار قوات القمع المعلن: ne pas faire de quartier اي «لا تتركوا منهم احدا حيا»، «اقتلوا الجميع»، «كونوا دون رحمة» وقد تباهى لويس فيليب بنتيجة المجزرة قائلا:

انها كانت درسا لجميع الذين كانت لهم مرارا الجرأة على مهاجمة الحكومة.

فرض تيير بعد هذه المجزرة «قانون الجمعيات» (ابريل ١٨٣٤) الذي يحرم على العمال عمليا تشكيل الجمعيات المهنية.

بعد صدور قانون الجمعيات الاستبدادي التجأت الحركة الجمهورية، التي حرمت من التنظيم العلني، الى **الجمعيات السرية** والتجأ معها اليها العمال الثوريون.

اول هذه الجمعيات السرية: **جمعية العائلات** التي تشكلت عام ١٨٣٤. وتتكون من خلايا عائلية ، لا يتجاوز عدد اعضائها عدد اعضاء العائلة الواحدة (من ٥ الى ١٢ عضزوا)، وكانت تضم الطلاب والعمال وعددا كبيرا من **العسكريين.**

١- انظر الطبعة الثانية من كتابنا الجماعي: **من كومونة باريس الى مجازر عمان**، دار القدس – بيروت.

«تغلغلت الجمعية بعمق في الجيش. وكان من بين اعضائها عدد من ضباط الصف الذين ينتظرون بفارغ الصبر اشارة العمل» على حد شهادة بلانكي الذي سيطبع هذه الجمعية والجمعية التي اتت بعدها بطابعه الخاص، **التآمري**، الذي ما زال حيا الى الان في كثير من الحركات التي تدعي انها ثورية رغم انها تريد الاستيلاء على السلطة من وراء ظهر الجماهير.

كانت جمعية العائلات تعد ١٢٠٠ عضو عام ١٨٣٦، عندما اكتشف البوليس معملا سريا للبارود تشرف عليه الجمعية، واثر ذلك اعتقل جميع قادتها وحكم على بلانكي بعشرين عاما سجنا في سجن بباريس.

اطلق سراح قادة الجمعية في ١٨٣٧. وعندئذ شكل بلانكي وصحبه «جمعية الفصول» التي كان معظم اعضائها من العمال. وسميت جمعية الفصول لان مراتبها العليا والدنيا كانت بعدد الفصول الاربعة، وافراد كل خلية منها لا يتجاوز عددهم عدد ايام الاسبوع.

حاولت جمعية الفصول في ٢ مايو ١٨٣٩ القيام بانتفاضة فاشلة كانت فيها نهايتها الحاسمة.

كانت هدف هذه الجمعيات البلانكية (اصدقاء الشعب، جمعية العائلات وجمعية الفصول) استخدام العنفالمنظم للاستيلاء على السلطة من خلال جمعية تآمرية حديدية الانضباط حملت نفسها رسالة تحرير البروليتاريا «العاجزة» من جحيم العمل المأجور. ومهمة الجمعية التآمرية لا تقف عند تحرير البروليتاريا بالنيابة عنها بل تتجاوز ذلك الى ما بعد «التحرير»، الى تسيير دواليب ومؤسسات السلطة الثورية الديكتاتورية. لكنها ديكتاتورية «مؤقتة». وسينتهي طابعها الديكتاتوري بانتهاء مهمة «النخبة الثورية» الحاكمة من تدريب الشعب «القاصر» على ممارسة الديموقراطية

وعلى التعاون «الشيوعي» في مجتمع قائم على التساوي الاقتصادي.

كانت قيادة الجمعيات الثلاثة بيد المثقفين الراديكاليين اما قاعدتها فكانت من العمال الثوريين. وهذا ما نمى تعاطفا **أمميا** بين العمال في هذه الجمعيات والثوريين من العمال والحرفيين والمثقفين الالمان اللاجئين في فرنسا والمنخرطين في **جمعية المنفيين** ثم في **جمعية العادلين**.

بين ١٨٣٠ و ١٩٤٨ عرفت فرنسا الزراعية اساسا، بفضل الحماية الجمركية، نهوضا صناعيا هاما. وفي ظل هذا الوضع تحددت ملامح الصراع الطبقي وملامح فرقائه: البورجوازية المالية، البورجوازية الصناعية والبروليتاريا.

استبعد النظام الانتخابي، باعطائه المالكين فقط حق الاقتراع والترشح، الطبقة العاملة من اللعبة الديموقراطية، ومكن عمليا البورجوازية الصناعية وحدها من احتكار المعارضة الرسمية لحكم البورجوازية المصرفية والمالية الحاكمة.

اما الفلاحون الفرنسيون، الذين كانوا يشكلون اغلبية الامة فقد كانوا رجعيين حتى العظم وبالتالي موالين لكل سلطة قائمة. لان الاعتزاز بملكية قطعة الارض التي اعطاهم اياها الاصلاح الزراعي في الثورة الفرنسية كان يجعلهم معادين لثورة «برابرة المدن» خشية ان يفقدوا ما يمتلكون.

في ظل هذه الخارطة الاجتماعية وجد العمال، الذين كانوا بغالبيتهم ما زالوا يشتغلون في مصانع صغرى متناثرة، وسيلة معارضتهم للنظام القائم في التقاليد التآمرية البابوفية التي بلغ بها بلانكي مرتبة الاكتمال من اجل مواصلة «حرب الفقراء ضد الاغنياء» التي دشنها بابوف.

لقد كانت الطبقة العاملة ما زالت اقلية في فرنسا الملأى بالفلاحين. واذن فلم يكن امام الثوريين من العمال الا اللجوء الى تاكتيك «الضربة المباغتة» لقصم ظهر خصمهم الطبقي. وكان عليهم، والحالة تلك، ان يكرسوا طاقاتهم الثورية للاعداد الدائم للضربة المباغتة التالية.تجلت هذه الروح التآمرية في انتفاضة ٢ مايو ١٨٣٩ الفاشلة وظلت ملحوظة في طريقة قتال البروليتاريا الفرنسية حتى في ثورة ١٨٤٨ بل وحتى في الكومونة ١٨٧١.

منظر التآمر في النشاط الثوري، بعد بابوف، كان بلانكي الذي تزعم او اشترك في جميع الانتفاضات من ١٨٣٠ الى ١٨٦٨.

كان بلانكي (١٨٠٥ - ١٨٨١) استاذا للرياضيات في مدرسة ثانوية. وفي ١٨٤٢ انخرط في جمعية الفحامين. وكان، خلال ثورة يوليو ١٨٣٠، على رأس المتاريس التي اقامها العمال والعامة في باريس. اشترك في ثورة ١٨٤٨ وحال السجن بينه وبين ان يكون مباشرة على رأس كومونة باريس. وقد قضى في السجن اكثر من ٣٣ عاما.

واجب الثوري هو النضال دائما، النضال في جميع الاحوال والنضال حتى الرمق الاخير.

هذا ما كان شعار بلانكي، الذي لخص به بدقة حياته كلها، وهو حتى الان شعار الجهاد الحزبي الرائج والذي يعبر عن الاغتراب عن الذات اكثر مما يعبر عن الرغبة في ظهور مجتمع ثوري تسترد فيه الذات جميع حقوقها المصادرة.

ما يفصل بحسم بين الخطة البلانكية للثورة والرؤيا الماركسيانية للثورة هو هذه الارادية الطفولية او البلانكية التي تضرب صفحا عن علاقات القوى، عن مدى نضج الشروط الفعلية، عن مدى تخلخل

تماسك الطبقة الحاكمة، عن مدى راديكالية وعي الطبقة الثورية. وباختصار ليست الانتفاضة في تصور بلانكي هبة تقوم بها اوسع الجماهير الكادحة التي ملت الحياة تحت النظام القائم – هذا النظام الذي غدا عاجزا عن جعل الاستغلال واغتراب الحياة اليومية محتملين كما في السابق – والتي شرعت تلمح بوضوح منظورا جديدا ومخرجا ثوريا للأزمة الناشبة. بل هي في نظره ليست الا التآمر المنظم الى اقصى الدرجات والسري الى اقصى الدرجات، ليست الا:

فنا عمليا يتطلب تاكتيكا لا بد من معرفته.

و:

لا بد من ان نقول ونعيد القول بان شرط الوجوب للانتصار في الانتفاضة هو تنظيم الكل، النظام والانضباط، ومن المشكوك فيه ان يصمد الجيش طويلا امام انتفاضة منظمة تعمل من خلال جهاز كامل لقوة حكومية.

وانتصار الثورة الاشتراكية عند بلانكي ليس كما عند ماركس، محصلة التناقض بين علاقات الانتاج البالية وقوى الانتاج، وعلى رأسها وعي الطبقة الثورية ذاتها، بل محصلة تثقيف النخبة الثورية، اعضاء الجمعية التآمرية ببرنامج حزبي متطرف، ومحصلة «امتلاك التنظيم الجيد للمؤامرة» على حد سخرية ماركس من البلانكيين، وامتلاك الاسلحة بمقادير كافية:

الاسلحة والتنظيم، هذان هما العنصر الحاسم للتقدم، والوسيلة الجدية للقضاء على البؤس! من يملك الحديد يمتلك الخبز. العدو يركع امام الحراب ويكنس كنسا الجموع العزلاء. عندما تصبح فرنسا مزروعة بالعمال المسلحين، عندئذ تنتصر الاشتراكية.

رغم ان بلانكي كان خبيرا لا يشق له غبار في معركة فن الانتفاضة وحياكة المؤامرات المباغتة، الا ان جميع انتفاضاته الفاشلة شاهد لا مطعن فيه على اسبقية **دور الجماهير** وتدخلها **المباشر** على اتقان فن الانتفاضة والتحصن بالكتمان، وعلى **استحالة** الثورة الاشتراكية من وراء ظهر الجماهير المعنية. يقول احد شهود انتفاضة ٢ مايو ١٨٣٩:

> **كانت السرية التي احاطت بها المؤامرة نفسها من القوة حتى ان الشعب نفسه، بما فيه جناحه الجمهوري الثوري، لم يكن اقل مباغة من الحكومة ولا كان اكثر استعدادا منها.**

وهكذا فقد بلغت سرية الانتفاضة البلانكية حد انها ظلت سرا حتى على الذين كان من المفروض ان يقوموا بها.

٣- ألمانيا

نظرا لتجزئة المانيا الى دويلات كونفدرالية قميئة، متخلفة صناعيا ومستبدة سياسيا، لم يكن في وسع الحركة المستقلة للطبقة العاملة الالمانية ان تولد وتنمو جديا الا في احضان الحركة العمالية في فرنسا وانجلترا المتطورتين صناعيا والديموقراطيتين سياسيا.

بعيد عيد هامباخ، الذي كان مسك الختام الالماني لثورة يوليو الفرنسية وللاضطرابات الاجتماعية في انجلترا، اضطر عديد من الجامعيين والمثقفين الديموقراطيين الالمان للهجرة من المانيا

المستبدة الى فرنسا الليبرالية. كان من بين هؤلاء المثقفين المهاجرين استاذان محاضران بجامعة هوتنجن هما: شوستر وفندي.

في باريس تعرف المثقفون المهاجرون على مهاجرين المان آخرينسبقوهم الى فرنسا بحثا عن لقمة العيش كعمال او كحرفيين.

بالتفاعل مع التيار الاممي في الحركة العمالية الفرنسية شكل سريا الثوريون الالمان في ١٨٣٤ **جمعية او رابطة المنفيين**، وكان على رأس هؤلاء تيودور شوستر. وقد اعلنت الجمعية ان برنامجها هو حل:

التناقض الذي يزداد كل يوم مزيدا من الحدة بين الطبقتين: طبقة الاغنياء التي تستهلك ولا تنتج شيئا، وطبقة الفقراء الذين رغم انهم ينتجون كل شيء فهم محرومون من كل شيء.

وترى الجمعية ان حل هذا التناقض لا يكون الا باشاعة الاموال ووسائل الانتاج، واتحاد العمال عبر تعاونيات انتاج تمولها الدولة. وعلى العموم فالجمعية كانت ديموقراطية جمهورية اكثر مما كانت بروليتارية. لقد كانت، الى حد بعيد، منظمة على غرار جمعية العائلات التي اخذت عنها نمطها التنظيمي ونفسها الراديكالي الجمهوري.

لم تلبث العناصر الاكثر تطرفا، والبروليتارية في معظمها، ان انفصلت عن كونفدرالية المنفيين لكي تشكل في ١٨٣٦ **رابطة العادلين**، وبذلك «لم يبق في جمعية المنفيين الا العناصر الطالحة من امثال (الجامعي) فندي» (انجلز).

بظهور كونفدرالية العادلين طويت صفحة جمعية المنفيين التي كانت على صلة وثيقة بجمعية العائلات.

اسس **العادلين** الجامعي شوستر، عامل الساعات مول، الصفيف شابر والخياط فايتلينج... لم تكن الجمعية كتلة واحدة بل كانت تعايشا بين اتجاهين احدهما يمثله النجارون والابنوسيون ويدعو الى ظهور «الجمهورية الاجتماعية». وكان الاتجاه الاخر، الممثل بالاسكافيين والخياطين، يدعو الى الشيوعية السوائية ذات الملامح الصوفية. ودفاعا عن وجهة نظر هذا الاتجاه كتب فايتلينج في ١٨٣٨ «بيانه الشيوعي»: **الانسانية كما هي وكما يجب ان تكون**، الذي كان الى حد بعيد صدى لافكار بلانكي: ضرورة بناء مجتمع شيوعي وضرورة اقامة ديكتاتورية فورية تتكفل «بتثقيف» الشعب.

اذا كانت جمعية المنفيين مرتبطة بجمعية العائلات، فان وريثتها: العادلين كانت تقريبا فرعا **للفصول**.

تورطت جمعية العادلين، بدافع التضامن الاممي، في مغامرة الانقلاب العسكري الذي نظمته **الفصول** في مايو ١٨٣٩ وقاده بنفسه ابو المتآمرين طرا اوجست بلانكي. وسقط عدد من اعضائها الالمان قتلى فوق المتاريس الباريسية. وهكذا لقيت العادلين حتفها سوية مع الفصول [١].

بعد اعتقال طويل استطاع معظم اعضاء الكونفدرالية الناشطين،

١- يبدو واضحا ان الحركة الشيوعية المستقلة لعمال المانيا في المهجر الباريسي قد ترعرعت في احضان الجمعيات السرية البلانكية وتشربت، خاصة قبل ان تنتقل الى انجلترا، اساليبها الفعلجية activists. ويستطيع الانسان، عبر دراسة جدية للبلانكية كايديولوجيا وكممارسة، ان يكتشف مدى اتصلب جذور الحركة الشيوعية بالبلانكية اي بالنزعات **البورجوازية الثورية المتطرفة**. ولا بد من الرجوع لهذه الجذور كأحد المصادر البعيدة لاشكال التنظيم البيروقراطية ولمبدأ الزعيم في صفوف الحركة العمالية اللاحقة.

امثال شابر، هاينريخ، باور ومول ان يلتحقوا بلندن. وهناك، حيث كانت **حرية الاجتماع وتكوين الاحزاب معترفا بها**، اسسوا بمبادرة من باور والعامل ايكاريوس (الذي سيغدو فيما بعد عضوا في الاممية) **الجمعية الالمانية للتثقيف العمالي** (١٨٤٠) التي غيرت بعد قليل اسمها لتصبح: **الجمعية الشيوعية للتثقيف العمالي.**

يتحول مركز الثقل من باريس الى لندن برز عامل آخر: من المانيةٍ كما كانت، اخذت الجمعية تتحول شيئا فشيئا الى رابطة اممية. كان يلتقي فيها بالاضافة الى الالمان والسويسريين اعضاء من جميع الجنسيات ... (انجلز) انظر الجزء ٢ من هذا الكتاب.

حاولت مجموعة رابطة العادلين ان تلائم، انتقائيا، بين الخبرة الفرنسية في النشاط السياسي السري والتآمري والخبرة الانجليزية في الصراع الطبقي الجماهيري العلني. فلقد شكلت الجمعية بلندن فعلا **منبرا أممياً** مفتوحا امام الديموقراطيين والبروليتاريين من جميع الامم لمناقشة القضايا النظرية والسياسية التي طرحتها حقبتهم، عليهم.

اتصل انجلز بالجمعية منذ ١٨٤٣. اما ماركس فلم يتعرف عليها الا اثناء مقامه بلندن سنة ١٨٤٥. لكن ماركس وانجلز لم ينخرطا فيها الا في ١٨٤٩ وانسحبا منها في ١٨٥٠ عندما وقفت اغلبية اعضائها مع الاتجاه التآمري البلانكي الذي مثله فيليخ وشابر. ولما ظهرت **الاممية الاولى** اصبحت الجمعية فرعها الالماني في لندن. وقد ظلت على قيد الحياة، دون نشاط ثوري يذكر، الى سنة ١٩١٧ عندما اغلقتها الحكومة البريطانية.

بالتحاق اعضاء **العادلين** بلندن، حيث اسسوا الجمعية الالمانية المذكورة، تمكنوا، سواء بالمراسلة او بالقراءة، من الاطلاع على النظرية البروليتارية الحديثة التي كانت بصدد التكون. فقد قرأوا باهتمام كتاب انجلز الهام: **الطبقات الكادحة في انجلترا**، وقرأوا محاضرات ماركس في جمعية العمال

الالمان (١٨٤٨) حول: **العمل المأجور ورأس المال** وكذلك كتابة **بؤس الفلسفة** [1]. أما تأثير ماركس وانجلز بالمراسلة وبالمناقشات المباشرة فقد تكفل انجلز نفسه بتبيان اهميته:

كان موقفنا من رابطة العادلين هو التالي: كنا على علم بوجود الرابطة طبعا: في ١٨٤٣ عرض عليَّ شابر الانخراط فيها، الا انني، وهذا بديهي، رفضت آنذاك عرضه، الا ان ذلك لم يمنعنا من ان نظل على صلة مستمرة مع مجموعة لندن بواسطة المراسلة، ومن ان نحافظ على علاقات وثيقة مع الدكتور ايفريك الذي كان آنذاك يسير الخلايا الباريسية. ودون ان نتدخل في شؤون الرابطة الداخلية، كنا نحاط علما بكل حدث هام يجد فيها. كما كنا نؤثر، في التصورات النظرية لاهم اعضاء الرابطة، مشافهة، مراسلة وبكتاباتنا في الصحف. وعندما كان الامر يتعلق بالشؤون الداخلية للحزب الشيوعي الذي كان قيد التكون، كنا نستخدم المناشير المكتوبة بالمطبعة الحجرية، لكي نحيط جميع اصدقائنا ومراسلينا في العالم علما. وكان يحدث احيانا في هذه المناشير ان نتهم الرابطة ذاتها. مثلا، التحق مثقف شاب من فستفاليا (...) بأمريكا وقدم هناك نفسه كمبعوث للرابطة. وبعد ان ارتبط بالمجنون هارو هارينج لتثوير امريكا بواسطة الرابطة اسس جريدة (منبر الشعب) وراح يبشر فيها، باسم الرابطة، بشيوعية قوامها الحب، بل تطفح حبا وتزخر بأوهام الحب. كتبنا، ردا عليه، منشورا كان له المفعول المنشود: فقد خلصت الرابطة منه. (انظر جزء ٢ من هذا الكتاب).

١- ننصح للقراء الثوريين بان يضربوا عن قراءة الترجمتين البائستين لهذا الكتاب الثمين، واللتين لا تصلحان الا للتمزيق، وهما ترجمة ندره اليازجي وحنا عبود عن دار دمشق ١٩٧٢. ولا بد لهذا الكتاب النموذجي من ترجمة تليق به.

نتيجة لكل ذلك اقتنع اكثر اعضاء الرابطة نباهة بضرورة تحرير التنظيم من التقاليد التآمرية البابوفية والبلانكية اي بضرورة استبدال الرابطة ذاتها بطراز **جديد** من التنظيم البروليتاري الشيوعي **الديموقراطي** من بابه الى محرابه، على حد وصف انجلز لرابطة الشيوعيين فيما بعد. لان غياب الديموقراطية الكاملة من التنظيم يعني تحويله الى ثكنة يحكمها الرقباء الحزبيون بالانضباط البقري. ولان مسخ التنظيم من وسيلة لتحريض البروليتاريا على تغيير العالم الى وسيلة للتآمر لتغيير العالم من وراء ظهر البروليتاريا الثورية وحلفائها ليس الا حماقة وجريمة في آن. حماقة لان هيهات ان تستطيع قوة مهما كانت ان تغير العالم من وراء ظهر الجماهير الثورية، وجريمة لان المؤامرات – الفاشلة دوما – هي خير حليف للطبقات الحاكمة التي تتخذ منها ذريعة لشد كلابة القمع اكثر وللقضاء على ما هو متاح من امكانيات التحريض الثوري العلني او شبه العلني.

هدق التنظيم البروليتاري الناضج اوسع وأسمى من التآمر على قلب الحكومات القائمة، لانه يعي ان هدفه هو نشر النظرية الشيوعية في صفوف الطبقة الثورية لتجذير وعيها وتحريضها لا بقلب هذه الحكومة او تلك او باغتيال هذا الجلاد او ذاك من قادة وخدام الطبقات المسيطرة، بل باغتيال سيطرة رأس المال على العمل. وهو يعلم سلفا ان مثل هذه الثورة التي تحقق عمليا ما حرض به هو نظريا اي التي تطيح بالسلعة، بالنقود، وبكل سلطة منفصلة عن سلطة المنتجين المباشرين المتحدين بحرية هي فوق وسائله هو، كفصيل طليعي من الطبقة ليست له اهداف منفصلة عن اهدافها، لانها مهمة الطبقة الثورية **ككل**. حسبه هو ان يوجه سهام النقد النظري للنظام السائد، ان يحلل جدليا اسباب قيام واخفاق الحركات الثورية السابقة، ان يوضح للطبقة مدلول ومنطق قرارها سلبيا او

ايجابيا، ان يشرح لها ما هي قادرة على انجازه فعلا، واضعا امامها جميع الامكانيات التي أتاحها الوضع الثوري، ان يحذرها من التذبذب ومن اعدائها الذين يخفون هويتهم عليها وان ينزع الاقنعة التي تقنّع بها الطبقات السائدة الاسباب الحقيقية للصراع الطبقي: استغلال الانسان للانسان وتحكم الانسان بالانسان.

تحولت رابطة العادلين، شيئا فشئيا، من جمعية بلانكية الى تنظيم ماركسي الى حد كبير **يحصر** مهمته في التحريض بالثورة ونشر نظريتها بين العمال وحلفائهم ويعي بأن تغيير العالم ليست مهمته بل هي مهمة الطبقة الثورية التي لا يستطيع اي حزب ان يحل محلها لتحقيق مهمتها التاريخية.

اثناء مؤتمر لندن الكونفدرالي غيرت الرابطة اسمها الى **رابطة الشيوعيين**. وقد طلب مؤتمرها الثاني في نهاية ١٨٤٧ من ماركس صياغة برنامج للرابطة.

صدر **البيان الشيوعي** بلندن في فبراير ١٨٤٩.

القناعة الاساسية التي انطلق منها ماركس – وايضا – انجلز في صياغة البيان هي:

تحرر العمال من صنع العمال انفسهم.

تسفيها للاستبدالية (استبدال الطبقة بحزب«ها») التي كانت عملة رائجة عند التنظيمات البورجوازية الصغار اليعاقبة وذكريات الماضي الثوري ومتاريسه.

لم يكن البيان اقل تسفيها لاسطورة اخرى كانت لا تقل رواجا: تثوير الطبقة العاملة من خارجها [١]. فالبروليتاريا ليست عاجزة عن صهر وعيها عبر صاهور الصراع الطبقي، وتجذيره عبر صراعها الطبقي ضد رأس المال ومؤسسات صيانته: الدولة وعبر نشاطها الثوري وادراكها لجدلية وهدف هذا النشاط:

كان ماركس، فيما يخص الانتصار النهائي للقضايا التي طرحها البيان، يعول فقط وحصرا على تطور الطبقة العاملة الفكري، هذا التطور الذي كان لا بد له من ان ينتج من النشاط المشترك والنقاش الجماعي. ومن غير الممكن ان تتوالى

١- كان زعماء الجمعيات السرية من البورجوازيين الراديكاليين امثال بابوف، بلانكي، باربيس الخ. يعتبرون انفسهم اوصياء العمالاليتامى والذين اناطت بهم العناية التاريخية مهمة تثويرهم من خارجهم ب «الافكار النيرة»:

من فضل السماء ان هناك كثيرا من البورجوازيين في المعسكر البروليتاري. وانهم هم الذين يشكلون قوة هذا المعسكر، اذ انهم يحملون اليه قسطا من التنوير ما زال الشعب للاسف عاجزا عن تقديمه. فالبورجوازيون هم الذين رفعوا اول راية للبروليتاريا وصاغوا لها النظريات في المساواة وهم الذين يروجونها. (بلانكي). انظر ص ٣١-٣٢ من: **التنظيم الثوري الحديث.**

وبذلك كان هؤلاء البورجوازيون الراديكاليون اوفياء لتقاليد فلاسفة القرن الثامن عشر (عصر الانوار) الذين شددوا على ان **الافكار**، لا صراع الطبقات، هي التي تحرك قاطرة التاريخ، وعلى ان هذه الافكار ليست وليدة الخبرة الفعلية التي يكتسبها الكادحون خلال صراعهم اليومي ضد ظالميهم، وانما هي وليدة «التأمل الفكري». واستنتجوا من ذلك ان خلاص الانسانية من عذابها سيكون من صنع الافكار والمفكرين لا من صنع هذه الانسانية ذاتها. تلك كانت ايضا قناعة جميع الاشتراكيين الخياليين على اختلاف الوانهم. لقد دافعوا عن الطبقة العاملة الناشئة بحرارة وكدّوا اذهانهم لابتكار ترياق سحري يضع حدا لألامها. لكن عندما فاجأتهم البروليتاريا، خلال الخضات الثورية المتعاقبة ١٧٩٣، ١٨٣٠ الخ، بانخراطها في رحلة البحث عن تخليص نفسها بنفسها بدون بل وضد اناجيل خلاصهم اصيبوا، كما يصاب البيروقراطيون المعاصرون، بالرعب مديرين لهم ظهرهم ومرسلين صيحة الفزع التي ارسلها السانسيمونيون في ثورة ١٨٣٠، عندما رأوا البروليتاريا الوليدة تحاول تدمير المجتمع الذي يحاصرها ويحاول تدميرها: «**هؤلاء هم البرابرة**»!

أحداث ومتاعب رأس المال، والهزائم اكثر من النجاحات، دون ان تشعر المناضلين بعدم كفاية ترياقهم ودون ان تقودهم الى ادراك الشروط الحقيقية للتحرر العمالي ادراكا عميقا. وكان ماركس على حق في ذلك.

انجلز: مقدمة الطبعة الالمانية للبيان ١٨٩.

وعلى حق كان ماركس وانجلز عندما سفها بعنف مستحق، في البيان، النعرات القومية التي كانت آنذاك – وما تزال الى اليوم – سلاحا تستخدمه البورجوازية لضرب وحدة البروليتاريا الاممية.

ادرك ماركس وانجلز، حتى قبل صياغة البيان بوقت طويل، ان مفتاح الحل الثوري لمشاكل الامة الالمانية المجزأة هو بيد البروليتاريا الالمانية الناشئة، كما ادركها في نفس الوقت ان البروليتاريا الاممية هي التي ستكون الصانع الرئيسي لانتقال الانسانية مما قبل التاريخ الى التاريخ الانساني حقا. لانها، من بين جميع الطبقات، هي الطبقة الوحيدة التي ليست لها مصالح طبقية ضيقة تضطرها، على غرار البورجوازية الصغيرة، على الوقوف في منتصف الطريق، وليس لها ما تخسره بالثورة الا اغلالها، لانها من بين جميع الطبقات الطبقة الوحيدة التي جردتها الطبقة الرأسمالية من الملكية، من العائلة ومن الوطن الذي هو بالتحليل الاخير ليس الا مجموع الامتيازات التي يتمتع بها اغنياء وبيروقراطيو بلد من البلدان. ولهذا عبثا:

«توجه البورجوازية للشيوعيين تهمة القضاء على الوطن والقومية» (ب.ش) لان «العمال لا وطن لهم» (ب.ش) فكيف «يسلب منهم ما لم يمتلكوه» (ب.ش)

لقد اراد البيان ان ينشر بين العمال برنامج الثورة البروليتارية عشية الثورة الاوروبية التي تنبأ بها والتي كانت على قيد المخاض اثناء صدوره في فبراير ١٨٤٨.

انهارت ثورة ١٨٤٨ في فرنسا لان البروليتاريا لم تكن، بحكم الوضع التاريخي العام آنذاك وبحكم وضعها الخاص، بقادرة على الاطاحة بالبورجوازية. ثم انهارت في المانيا لان الصراع الطبقي في فرنسا، خلال ثورة ١٨٤٨، زرع الرعب في قلب البورجوازية الالمانية والقارية التي رأت فيها مستقبلها. ولذلك تخلت عن أهدافها الخاصة وارتمت في احضان الرجعية الاقطاعية.

ارغمت هزيمة ١٨٤٨ في المانيا اعضاء رابطة الشيوعيين على الهجرة مجددا الى انجلترا. انعكست هزيمة الثورة على الرابطة فحطمت وحدتها اولا ثم حطمتها هي نفسها. فقد عاد فيليخ وشابر الى الطور التآمري للحركة العمالية، اي الى الاديولوجيا البلانكية الارادية والتآمرية التي تجاوزتها الحركة الفعلية وتجاوزاها هما في رابطة الشيوعيين وفي التعرف على النظرية الماركسية [١]. اما اغلبية المجلس المركزي للرابطة فانه رفض، مع ماركس وانجلز، باصرار هذه الردة. استطاعت ملاحقات البوليس الروسي ان تحطم استمرارية الرابطة اثناء محاكمان شيوعيي كولونيا 1852. وقد نجح الموفود البروسي من قبل بسمارك في دفع البرلمان الجرماني

١- يبدو ان ظاهرة عودة المكبوت التي اكتشفها فرويد في المجالين الفردي والاجتماعي تكتسي اهمية لا غنى عنها لتفسير بعض الظاهرات التاريخية: ردة شابر وفيليخ عن النظرية الماركسية الى الديماغوجية القومية والتآمرية البلانكية المكبوتتين، تفسر ايضا عودة فصائل حركة القوميين العرب الى مواقعها القديمة قبل يونيو ١٩٦٧ التي اعطت الانطباع بأنها تجاوزتها خلال مرحلة النهوض الثوري لحركة المقاومة (١٩٦٨-١٩٧٠).

الى اصدار قانون ١٣ يوليو ١٨٥٤ الذي يحظر الجمعيات العمالية. بهذا القانون انتهت رسميا الفترة الالولى للحركة العمالية المستقلة في المانيا التي انتهت عمليا بمحاكمة شيوعي كولونيا في سنة ١٨٥٢.



لا بد هنا من عودة ولو سريعة الى موضوعين اساسيين من موضوعات البيان: الامية ودور البروليتاريا في الثورة الاشتراكية الذي لا يمكن في مطلق الاحوال استبداله لا بدور الفلاحين ولا بدور النخبة المثقفة ولا بالاحرى بدور الجيش.

اثار موقف البيان الاممي، منذ صدوره وحتى اليوم، سعار الطبقات السائدة ومروجي اوهامها من الاديولوجيين الذين اجهدوا اذهانهم المكدودة وما يزالون لدحضه. وعلى مر الاجيال تبلور تياران اساسيان معاديان للاممية عداء مناضلا: التيار الرجعي المعادي للسامية (النازية، الفاشية) ... والتيار الرجعي المتخفي بعباءة الاشتراكية وحتى الماركسية.

من الطبيعي للعالم العربي الذي يستورد، فيما يستورد من عفش، عفش الرجعية العالمية الفكري ان يردد ترديد الصدى هذين التيارين.

يعزو، كصدى للتيار المعادي للسامية، الرجعيون العرب المعتزون برجعيتهم. (يمثل هذه المدرسة مثلا لا حصرا عمر حليق، قدري قلعجي، عمر فروخ وجريدة الحياة) اممية ماركس ومقته للقومية «خاصة عندما تكون المانية»، على حد قوله، الى اصله اليهودي. فماركس، الذي تخلى وهو شاب عن جنسيته الالمانية معلنا انتماءه للاممية، يماثل بين اليهودي والعامل. فاذا كان اليهودي لا

وطن له فكذلك يجب ان يكون العامل. لا حاجة طبعا لدحض هذا الهوس السمج. حسبنا ان نتذكر ان الاممية البروليتارية، كرد وحيد على عالمية رأس المال، ولدت ونمت في صلب الحركة الفعلية للطبقة العاملة قبل ظهور ماركس واستمرت بعده ولا تزال. ونسوق هنا، اضافة الى ما سقناه سابقا، مثلا دلاّلا على عمق اممية العمال وعمق عدائهم للقومية البورجوازية اصلا: عندما عاد وفد عمال فرنسا الى عمال انجلترا في ١٨٦٢ قدم تقريرا عن لقائه بالطبقة العاملة في انجلترا جاء فيه:

لم نلق في انجلترا الا العناية والصداقة والاخوة ... اننا اليوم، واكثر من اي وقت مضى، مقتنعون بان روح العداء بين الشعوب وهم وخيم العواقب... لقد كانت اقامتنا في لندن تكذيبا صريحا لمبدأ القومية المشؤوم.

اما التيار الثاني فقد ولّد عندنا **القوميين العرب** (اللاساليين) الذين يحاولون عبثا صبغ قوميتهم بالاحمر. وقد تتلمذوا بنجابة لا يحسدون عليها على مدرسة الاشتراكية في بلد واحد (الستالينية)، وعلى مدرسة استحالة بناء الاشتراكية خارج الحدود الوطنية التي نادى بها الاشتراكي الصهيوني بوروخوف وعلى مدرسة اسبقة مصالح الامة على مصالح الطبقة العاملة التي نادت بها الفاشية والنازية.

يشكل العفش الفكري للاساليين العرب خليطا انتقائيا، انتقائية والحق يقال كاريكاتورية، من الفضلات الستالينية، التيتاوية، التروتسكية، الاشتراكية القومية والدينية. لكن اللاساليين العرب، على تنوع شيعهم وكنائسهم، يشتركون في قاسم مشترك: كونهم يضعون في المقدمة دائما ويغلِّبون المصالح الخاصة للبورجوازية

والبيروقراطية القوميتين على المصالح العامة للبروليتاريا الاممية. وفي جميع مراحل تطور الصراع الطبقي بين البروليتاريا ومضطهديها يجدون انفسهم تلقائيا ودوما حملة اقلام الطبقات الظالمة.

● لعجزهم عن مواجهة وطرح المشاكل الفعلية التي تطرحها الحقبة، التاريخية ذاتها، تراهم يواجهون الجديد في الواقع والجديد في النظرية بتشنج البورجوازي الصغير الجريح قوميا والعاجز ذاتيا عن رد التحدي. ولذا تراهم يلتمسون عزاءهم وافيونهم في اجترار سارتر، التوسير، غارودي، ماندل، رودنسون، جالي، رجيس، دوبري ومن لف لفهم من مخترعي الموضات الفكرية ومروجي المشاكل الزائفة التي لا وظيفة لها سوى طمس المشاكل الحقيقية والهاء الشباب المتمرد عن الارتفاع بوعيه الى مستوى النقد الشامل **لكلية** عالم الاستغلال القائم غربا وشرقا على شراء سلعة قوة العمل. ولان لاساليينا عاجزون عن التفكير بانفسهم لذلك لم يستطيعوا الا ان يكونوا صدى باهتا، مختزلا الى مرتبة **المعيد**، لنعيق هذه الغربان الغريبة التي اتخذوها دليلا في مغامراتهم «الماركسية» بحثا عن حلول قديمة لمشكلات الثورة العربية الجديدة.

● عجزهم، كبورجوازيين صغار عجزوا عن الانسلاخ الطبقي، على ان يكتبوا بغير لغة القاموس الديني او القومي لا بل القومجي. ولذا تراهم، خدمة للطبقات السائدة، يحاولون تحويل عداء العمال للرأسمالية الى نزعة قومية موقعين في روع قرائهم – القلائل من حسن الحظ – بان العدو هو الرأسمال الاجنبي وليس الرأسمال «القومي» لانسائهم الحلف العضوي بين استغلال الرأسمال القومي واستغلال الرأسمال الامبريالي، لانسائهم بان الثورة المضادة العالمية رصت صفوفها، ببركات التعايش السلمي بين الطبقات الظالمة،

لمواجهة «خطر» الثورة الاممية في حيثما ظهر، لانسائهم تلك الحقيقة القديمة، قدم الرأسمال، والتي اعلنها البيان الشيوعي والتي هي اليوم واقع يفقأ العيون: حقيقة ان الرأسمال المنفلت من عقاله قضى على الاستقلال القومي بين الطبقات الرأسمالية واحل محله تبعية متبادلة، وغير متكافئة بالضرورة، بينها جميعا، ولانسائهم اخيرا بان البورجوازية صنعت من النقود مدفعية ثقيلة ضخمة اقتحمت بها وما تزال تقتحم جميع الاسوار الصينية، بما فيها سور الصين نفسه [١] وبذلك احالت الايديولوجيا القومية الى مجرد مشاعر عشائرية، الى مجرد راسب لحقبة خلت. وهدفهم من هذا التضليل هو طمس الوعي الطبقي عند العمال بتحويل عدائهم للاستغلال، ايا كانت جنسية المستغل، الى مجرد عداء قومجي للمستغل الاجنبي فقط ودفعهم بالتالي الى التحالف مع المستغِل الوطني الذي هو في الواقع المعاش امتداد طبيعي للرأسمالية العالمية، وظلمه لا يقل قسوة عن ظلمها – هذا اذا لم نقل مع القائل: وظلم ذوي القربى اشد مضاضة ... – والتحرير منها مشروط ضرورة بالتحرر منه ذلك لأن الرأسمالية «الوطنية» هي حصان طروادة الرأسمالية العالمية. اما ما يقوم به اللاساليون العرب من تقسيم العالم تقسيما سفسطائيا معتوها الى امم بروليتارية ككل وأمم بورجوازية ككل فليس الا اجترارا لشعارات طيبي الذكر موسوليني وهتلر ودعاتهما:

١- تشن صحافة الدولة الصينية حملة ضارية على كونفيشيوس – بياو. وقد ذهب شراح الطقوس البيروقراطية في تفسير مغزاها شتى تحلق كلها في سماء الاديولوجيا. لكن وقائع الاقتصاد الصيني المتأزم، شأن الاقتصاد العالمي الذي هو جزء منه، تشير الى ان محاربة كونفشيوس ليست محاربة للدين وانما هي محاربة للانغلاق القومي، داخل السور الصيني. ومحاربة لين بياو هي محاربة للاتجاه الاقلي في البيروقراطية الصينية الذي كان وما زال، عكسا لمنطق الاقتصاد الصيني، يتهيب الانفتاح الكامل على التكنولوجيا الامريكية والسوق العالمي. لكن بما ان الكلمة العليا هي دائما للاقتصاد فقد بدأ السور الصيني يتهاوى تحت ضربات مدفعية السلع والرساميل اليابانية، الاميركية والاوروبية...

«ايطاليا هي البروليتاريا الكبرى» والتناقض قائم «بين الامم الثرية والامم البروليتارية».

«البروليتاري الايطالي يعاني من وضع الامة الايطالية الادنى بالنسبة للامم المتنافسة، اكثر مما يعاني من جشع ونهب ارباب العمل» (١) و «المانيا العاملة هي ضحية القوى الغربية الجشعة» (دركسلور، مؤسس الحزب النازي) و «لا يمكن للاشتراكية ان تساوي بين البشر ما لم تكن ثمة مساواة بين الشعوب. ويجب على العمال الالمان ان يعترفوا بانه لم يسبق لهم ان استُعبدوا كما يستعبدهم اليوم الرأسمال الاجنبي (...) وان صراع التحرر الذي تخوضه البروليتاريا باعتبارها الجزء الاكثر اضطهادا في الامة المضطَهَدة، هو حرب حرب اهلية لا نخوضها ضد **أنفسنا** بل ضد البورجوازية العالمية (النازي ميلافان دين بروك) و «اذا ما اصبحت الصناعى الالمانية، الاقتصاد الالماني بين ايدي بين ايدي الرأسمال المالي العالمي، فستكون هذه نهاية كل امكانية تحرر اجتماعي، او نهاية كل امل في ان تصبح المانيا اشتراكية ... اما نحن شباب المانيا، نحن الثوريين – الاشتراكيين – القوميين ... فسنشرع في الصراع ضد الرأسمالية الامبريالية ... لقد تعلمنا ان ثمة علاقة ارادها القدر بين الحرية القومية لشعبنا والتحرر الاقتصادي للطبقة العاملة. ولن تصبح الاشتراكية الالمانية ممكنة وقابلة للاستمرار الا عندما تصبح المانيا حرة» (جرجور شتراس). «وما هي غاية القومية الالمانية؟ انها تريد ان لا تكون المانيا المستقبل بروليتاريا العالم. وما الاشتراكية القومية سوى التأليف بين هذين المفهومين» (غوبلز) [١] .

١- انظر: دراسات في الفاشية. ص ١٥٦، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١- المصدر السابق، ص ١٥٧.

● استبدالهم لشعار ماركس وانجلس: العمال لا وطن لهم، الذي لم يكن الا تلخيصا مكثفت لواقع البروليتاريا الاممية حيث وجدت والذي هو اليوم – خاصة حيث تجميد الاجور منظم بقانون، والاضراب معدود في عداد الجرائم، واصدار الصحف العمالية وتكوين التنظيمات العمالية المستقلة محرم، والبقاء على قيد الحياة البائسة محال الا اذا باع العمال انفسهم كسلعة، وكسلعة رخيصة – اكثر راهنية منه في اي وقت مضى، بالحديث المشكوك في صحته: حب الوطن من الايمان.

● حقدهم الطبقي الدفين على الطبقة العاملة التي يهونون دائما من مزاياهم الجوهرية ويهولون من نواقصها الظرفية ليتسنى لهم استبدالها بالفلاحين، بحزب النخبة التآمرية المثقفة، بالبورجوازية الصغيرة او «الوطنية»، بالقوات المسلحة وبكل من هب ودب على صعيد المجتمعات الفسيفسائية المتخلفة. ويقدمون انشاءهم هذا كنقص، أجبن من ان يقول اسمه دائما، لتحليل البيان الشيوعي لجوهر ودور البروليتاريا التي تمتاز عن جميع الطبقات المالكة للكثير او للقليل من الاشياء بانها وحدها القادرة – من جهة لكونها الطبقة الوحيدة التي سيختزل اليها نمط الانتاج الصناعي الحديث الغالبية الساحقة من الطبقات المتوسطة بل وحتى «شرائح بكاملها من الطبقة السائدة [١]» (ب،ش) نفسها، ومن جهة اخرى بفضل تساميها عن بؤس الخصوصيات الاقليمية والطائفية والقومية – على الارتفاع الى مستوى قلب العالم القائم على البؤس الكمي والنوعي،

١- ظاهرة انضمام الشباب خاصة الشباب المثقف الى الحركة البروليتارية العالمية الجديدة ليس الا تأكيدا لهذه الحقيقة التي استبقها البيان الشيوعي. فنمط الانتاج الحالي، الذي عمم نظام العمل المأجور (٨٥ بالمئة من الشعب الفرنسي مثلا مورد بقائهم على قيد الحياة الاساسي هو الاجر) وحول الغالبية الساحقة من السكان الى بروليتاريين لا سلطان لهم على حياتهم وحول حياتهم نفسها الى مجرد بقاء فيزيقي، وكمي على قيد الحياة، خفض الطالب، الذي كانت جامعات القرن ١٩ ع تهيؤه لارفع مناصب الدولة، الى مجرد كادر متخصص ونصف جاهل لتأطير عمال المصانع بل وايضا ليعمل بنفسه في المصانع، والجامعات نفسها تحولت من مؤسسات للبحث المستقل واعادة انتاج الطبقة السائدة وثقافتها الى مجرد مدارس فنية عليا للانتاج السريع للكوادر والعمال المتخصصين الذين يتطلبهم الانتاج الصناعي المعاصر القائم على الاستخدام الواسع لاكثر الألات حداثة وتعقيدا.

على رق العمل المأجور واغتراب الذات، قلبا جذريا لا يبقي منه ولا يذر. والبروليتاريا هي الطبقة الوحيدة التقدمية فعليا والمحركة لحركة التاريخ بالقياس الى البورجوازيين «هذه العناصر السلبية وغير الواعية بالتقدم»، وهي الطبقة الوحيدة الثورية حتى النهاية والقادرة على وعي كلية وضعها بفضل تسيسها، انتشار المعرفة بين صفوفها وصراعها اليومي مع رأس المال وتمركزها في المدن، بالقياس الى الفلاحين المشتتين في الارياف، الظامئين الى الملكية الخاصة والخاملين سياسيا والمحكوم عليهم، بسبب اميتهم وتجهيل الطبقات السائدة لهم وخضوعهم شبه الاعمى لتغبية الكهنة لهم، بـ «البلاهة» و «الهمجية». وهي الطبقة الوحيدة، من بين جميع الطبقات، التي تتماثل مصالحها مع مصالح الكجتمع كله، والتي بدفاعها عن مصالحها تدافع عن مصالح المجتمع كله. هذا المجتمع الذي يشكل تحررها اي قضاؤها على نفسها كبروليتاريا شرط الوجوب لتحرره كمجتمع، وهي وحدها البعيدة البعيدة النظر بالقياس الى البورجوازيين الصغار الذين لا ينظرون ابعد من انوفهم ولا بعد من «مصالحهم الحقيرة التي اكل عليها الدهر وشرب» (ب.ش). امام جميع هذه الطبقات التي تنفعل بالتاريخ ولا تفعله «البروليتاريا هي الطبقة التي تحتضن المستقبل بين ذراعيها» (ب.ش)، والقادرة على تسيير جميع مظاهر الحياة الاجتماعية تسييرا ذاتيا حرا.

مثل هذه الطبقة، التي لا مثيل لشمولية آلامها واغلالها الراديكالية الا شمولية رسالتها الراديكالية، لا يمكن اختزالها لحزب من احزابها لانه لا يستطيع، مهما بلغت درجة راديكاليته، الا ان يكون «تعبيرا عابرا وعرضيا» (ماركس) عن مصالحها الثابتة والدائمة، كما لا تجوز مماثلة سلطتها: ديكتاتورية البروليتاريا التي لا شريك لها بأي شكل من الاشكال:

«اشتراكية الدولة، مرض طفولة الاشتراكية البروليتارية» (انجلز) التي «تغتصب المصلحة العامة من مبادرة اعضاء المجتمع لتحولها الى موضوع للنشاط الحكومي» (ماركس).

ديكتاتورية البروليتاريا، عند ماركس وانجلز، هي السلطة الوحيدة والمطلقة للبروليتاريا **ككل**، البروليتاريا التي نظمت نفسها، على غرار كومونة باريس (وبدرجة ارقى من سوفياتات ١٩٠٥، ١٩١٧) في هيئات بروليتارية من ابداعها، قائمة على الديموقراطية **المباشرة** المنافية والنافية لاي شكل من اشكال الديموقراطية البورجوازية **التمثيلية** اي لاي شكل من اشكال تفويض سلطة الطبقة تفويضا دائما او طويل الامد حتى لمندوبي الطبقة ذاتها، والقائمة على نفي الاستغلال والبيروقراطية.

عندما ادرك ماركس وانجلز جدلية هذا البروتسيس التاريخي الذي اناط بالبروليتاريا رسالة تقويض العالم القديم وتخليص الانسانية قاطبة من جميع اشكال الاستغلال والاغتراب واعلنا ذلك في **البيان**، كانت البروليتاريا لم توجد بعد فيما يسمى اليوم بالعالم الثالث وكانت في اوربا الصناعية نفسها طبقة في طور النمو حجما و وعيا. لم يكن عدد البروليتاريا الصناعية في المانيا يتجاوز ٥٠ الفا، واكبر مصنع حديث، مصنع كروب، الذي كان اول من استخدم في المانيا اول آلة بخارية في ١٨٣٥، لم يكن يشغل في سنة ١٨٤٦ اكثر من ١٢٦ عامل. وفي بريطانيا، اكثر البلدان تصنيعا يومئذ لم يكن عدد البروليتاريا الصناعية قد تجاوز ال ٥ ملايين. اما في فرنسا فقد كان عدد الطبقة العاملة الاجمالي ٢,٠٠٠،٥٠٠ منهم ٨٩٧٠٠٠ عاطل عن الشغل و ١٦٠٠٠٠٠ فقط قيد الشغل بينهم ٢٨٤٧٠٠ امرأة و ٢٠٨٠٠٠ طفل.

لكن قطيعا واسعا من «الماركسيين» (في الحقيقة نحتاج الى سور من الاقواس) العرب ما زالوا في ١٩٧٣ لم يدركوا بعد وقد لا يدركون ابدا هذه الجدلية، في حين ان البروليتاريا تشكل اليوم الاغلبية الساحقة من سكان العالم الصناعي حيث اندثر الفلاحون او يكادون، وحجم البروليتاريا المصرية وحدها اليوم يفوق حجم البروليتاريا الالمانية، الايطالية والفرنسية مجتمعة حين صدور **البيان الشيوعي**. ومع ذلك فهذا القطيع «الماركسي» **المعادي** للبروليتاريا لا ينكر عليها وحسب حقها في الظهور على مسرح

التاريخ كقوة سائدة بل ينكر عليها وعلى منظريها حقها في الاستقلال وعيا وتنظيما عن الطبقات الاخرى. ولا عجب فان كلمة الاشتراكية البروليتارية في حقبتنا، حيث الشروط العالمية والمحلية تدفع متظافرة باتجاهها، تثير فيهم الذعر الذي يموهونه بالاستخفاف. وعلى كل حال فشعاراتهم التي لم تتخط: الانتقال من التخلف الى التقدم، من التبعية الاقتصادية الى الاستقلال الاقتصادي، من اللاعقلانية الى العقلانية، من «الاقطاع» الى الحداثة تفضح بما فيه الكفاية هويتهم الطبقية: كونهم ذخيرة اديولوجية في مدفعية الرأسمالية المحلية والعالمية. أليس التحريض **باللحاق** بالتقدم؛ بالعقلانية؛ بالحداثة اي **بالرأسمالية** هي نفس ما يحققه – لا ما يطالب به وحسب امير قطر وفيصل السعودية –؟ لم يبق لهم الا ان يصفقوا للامير فهد بن عبد العزيز عندما صرح مؤخرا معتزا بـ:

اننا انتقلنا بالسعودية من البداوة الى العصر الحديث.

من «الاقطاع» الى الحداثة، أليس كذلك؟

هم يراهنون على اللحاق بالرأسمالية الحديثة، الغارقة هي نفسها في الغرب والشرق معا في ازمة طاحنة. ونحن نرى المخرج الوحيد في الثورة الاشتراكية التي تكون البروليتاريا في العالم العربي صانعها الرئيسي والبروليتاريا الاممية سندها الرئيسي. على كل حال ليس في نيتنا ان نوسع النقاش مع أناس تتوقف أدمغتهم عن التفكير بالضبط عندما تبدأ المشكلة في نظر الماركسيين.

ماركس – ٧٤

نشَاط مَاركس – انجِلز التنظِيمي
(١٨٤٣ ــ ١٨٤٧)

«تحرير البروليتاريا من صنع البروليتاريا نفسها»

البيان ١٨٤٧

«نظريتنا ليست عقيدة (دوجيم) ... عقيدة على المرء ان يحفظها عن ظهر قلب وان يعيدها ميكانيكيا ... بل هي دليل للنشاط الثوري ... نظرية للتطور ... عرض لبروتسيس متدرج ينطوي على اطوار عدة».

انجلز ١٨٨٧

التحريض الحزبي في المانيا

التصور الانساني الحق [1]

من ايام قلائل قضيت ثلاثة ايام في كولونيا حيث استرعى انتباهي سعة النشاط الدعائي الذي قام به فيها رفاقنا. ان اصدقاءنا هناك نشيطون جدا. بيد انني لاحظت عندهم بوضوح نقصا في التكوين النظري الاساسي. وعليه فطالما لم نقدم، في سلسلة من النصوص، عرضا تاريخيا ومتماسكا لمبادئنا آخذين بعين الاعتبار تطور الافكار والماضي، فاننا لن نقوم الا بتحرض غير واع وغالبا اعمى. انتقلت من كولونيا الى ديسلدورف حيث لنا بضعة عناصر

١- انجلز الى ماركس، اكتوبر ١٨٤٤.

نشيطة للغاية. الا انني افضل رفاقنا بإبرفيلد، لأن تصورا انسانيا حقا قد جرى فيهم مجرى الدم في العروق.

الخلاف مع روجه [٢]

من بضعة ايام كنت في كولونيا وبون. كل شيء على ما يرام في كولونيا. لعل جرين قد أحاطك علما بالنشاط الذي يقوم به رفاقنا. وهيس يفكر بدوره بالسفر الى باريس حالما يجمع النقود الضرورية لذلك خلال اسبوعين. اما بيرجرس فهو الان معك بحيث انكم ستشكلون في باريس مجلسا حقيقيا. ومن الواضح اني ما زلت لا استطيع القدوم اليكم في هذه الللحظة الا اذا اختصمت مع عائلتي كلها. وزيادة على ذلك، عندي مشكلة غرامية اريد حلها قبل اي شيء آخر [٣]. واخيرا فلا بد لاحدنا ان يكون هنا، لان الناس في حاجة الى من يستنهضهم لكي يستمروا في نشاطهم على نفس الاتجاه ولكي لا يضلوا في منعرجات شتى او ينحشروا في طرق مسدودة.

وهكذا فقد استحال عليّ اقناع يونج وكثير من الآخرين بأن خلافنا مع روجه هو خلاف مبدأي، لكنهم ما زالوا الى الآن يظنون ان

٢- انجلز الى ماركس، ١٩ نوفمبر ١٨٤٤.

٣- لو تجرأ على مثل هذا الاعتراف اليوم مناضل من حزب ماركس – لينيني، في مهمة حزبية، لكان أقل عقاب ينتظره الطرد مع التشهير! ولا بد من ان نلاحظ للقارئ بأن أحيانا ليست قليلة اعطينا عناوين لرسائل ماركس وانجلز لتشديد النبرة على المقطع او الفكرة الاهم فيها.

الامر لا يعدو كونه خلافا شخصيا [1]. وعندما اقول لهم روجه ليس شيوعيا، فانهم لا يأخذون ذلك مأخذ الجد (...).

اننا الآن ننظم في كل مكان اجتماعات عامة بهدف تكوين

١- روجه **Ruge** هو احد ممثلي حركة اليسار الهيجلي، هذه الحركة التي انحلت في ١٨٤٥ عندما منعت الرقابة جميع محلاتها وصحفها داخل المانيا. تعاون ماركس مع روجه لبضعة سنوان وراسله، وكتب في «الحوليات الالمانية الفرنسية» التي اصدرها روجه في باريس. وقطيعة ماركس معه تعود الى جملة اسباب اكثرها مبدأي واقلها شخصي. ومن هذا النوع الاخير ان روجه، متعللا بالصعوبات المادية، كان يدفع لماركس اجرة تعاونه معه في **الحوليات** عينا اي كمية من اعداد المجلة يتولى ماركس بيعها بنفسه وقبض ثمنها، وكذلك استياء ماركس من عدم رضى روجه عن اسلوبه المتأنق وسخريته اللاذعة... لكن السبب المباشر للقطيعة بين ماركس وروجه كان الشاعر الالماني هيرفيجه: لقد وجد روجه، كما فعل مع الاخوين باور، نقدا لنمط حياة هيرفينج المنحل والفاسق زاعما ان نمط حياته يتنافى مع مواهبه كشاعر عظيم. وقد انزعج ماركس من نقد روجه لهيرفيجه وارسل له في مايو ١٨٤٤ رسالة غاضبة ضمنها قطيعته معه. كما كان ماركس وروجه على طرفي نقيض في مسألة الدولة: فبينما يعتقد روجه ان «الدولة يمكن ان تكون اداة لتوحيد وتحرير الانسانية» و«على الناس ان يتثقفوا بالدولة ولاجلها» ويرى ان الدولة القائمة تتطور في اتجاه سيطرتها على وسائل الانتاج وذلك «بالغاء الامتيازات، بالتأميمات، بالخدمة العسكرية، بالغاء الاديرة وبمنع الجمعيات السرية الخطرة». وكان متحمسا لمجيء ذلك اليوم الذي يصبح فيه كل المواطنين عمالا عند الدولة اي موظفين. وعندئذ لن يكون اي انسان في خدمة انسان آخر، ولن تكون هناك طبقات اجتماعية ولن يكون هناك فقراء. انها «اشتراكية الدولة اذن»، فان ماركس على النقيض من الروجه يعتبر ان «وجود الدولة وورجود الرق امران متلازمان». ومن جهة اخرى يحدثنا روجه نفسه عن خلافه مع ماركس قائلا انه هو يهتم بالمبادئ موضع التطبيق. لكن القطيعة النهائية والعلنية بينهما حدثت بمناسبة موقف روجه من انتفاضة عمال النسيج في سيليزيا (البروسية يومئذ والبولونية اليوم) مارس ١٨٤٤. فقد اتهم روجه البروليتاريا بالتخلف قائلا: نظرا لتخلف بروسيا السياسي لا يمكن لانتفاضة عمال النسيج الا ان تكون حدثا محليا. كما انه نظرا لوضع بروسيا ايضا، فان الثورة لن يكون لها اي حظ من النجاح ولهذا فلا بد من التعويل فقط على الجهود المشتركة للتنظيمات السياسية وعلى التثقيف الذي يمكن ان يقضي على الاسباب العميقة للفقر. ورد ماركس عليه في جريدة فورفورتس موضحا ان السبب العميق لوجود الفقر في العالم حتى الاكثر تصنيعا هو الملكية الخاصة. والقضاء على الفقر ايضا لا يمكن انتظاره من تطور الوعي السياسي بل من القضاء على الملكية الخاصة. ودافع بحرارة عن البروليتاريا الالمانية التي اتهمها روجه بالتأخر فامتدح فايتلينج مضيفا بان الالمان هم منظرو البروليتاريا الاوروبية، وان النشاط الثوري هو وسيلة تحرر البروليتاريا.

جمعيات لتحسين حياة العمال [1]. وهذا ما خلق حركة غير مألوفة عند المانيا المحترمين ولفت اهتمام ضيقي الافق الى المشاكل الاجتماعية. اننا ننظم هذه الاجتماعات دون ان يعترينا اي هم اطلاقا لما قد يفكر به البوليس. نحن الذين اخترنا نصف اعضاء لجنة اعداد القانون الاساسي بكولونيا. وعندنا في لجنة ايرفيلد عضو على الاقل، واستطعنا بمساعدة العقلانيين ان ننزل هزيمة لاذعة بأنصار رجال الدين في اجتماعين متواليين: لقد استبعدنا من القانون الاساسي، وذلك بأغلبية ساحقة، كل اثر للافكار المسيحية. ولكم تفكهت وانا اعاين كيف يجعل هؤلاء العقلانيون انفسهم مسخرة بسبب رؤياهم النظرية المسيحية وتصرفهم الملحد. فهم نظريا يعطون، وبكل اصرار، الحق للمعارضة المسيحية، ولكنهم عمليا يعارضون بنفس الاصرار ان يشار للمسيحية – التي تشكل باعترافهم اساس الجمعية – في القانون الاساسي، الذي يجب ان يشتمل على كل شيء ما عدا الجوهر الحيوي للجمعية! (...) [2].

انني غارق في الصحف والكتب الانكليزية التي استقي منها مادة كتابي **وضع الطبقة الكادحة في انجلترا** وفي حسباني ان افرغ منه في اواسط يناير، اذ انني قد انهيت منذ اسبوعين العمل الاكثر مشقة الا وهو تصنيف الوثائق.

١- على اثر انتفاضة عمال النسيج بسيليزيا فكرت الحكومة باتخاذ تدابير اصلاحية لتحسين حياة العمال وخاصة للعب ورقة البروليتاريا ضد البورجوازية الليبرالية. وقد اغتنم انجلز هذا المناخ لتحريض البروليتاريا بشكل شرعي. ورغم معارضة الليبراليين نص القانون الاساسي للجمعية التي تأسست في كولونيا ورغم معارضة الليبراليين نص القانون الاساسي للجمعية التي تأسست في كولونيا ١٨٢٤ على ان هدف الجمعية هو اشراك العمال في تسيير شؤون الجمعية والدفاع عن العمال ضد طاغوت رأس المال. وعند ذلك غادر الليبراليون الجمعية وأغروا الحكومة بمنعها.

٢- (...) علامة الاستشهاد الناقص اشارة الى اننا، حرصا على عدم تضخيم حجم اجزاء هذا الكتاب، رأينا ان نضرب صفحا عن ترجمة بعض المقاطع التي لا اهمية لها خاصة من الرسائل.

التكوين النظري [1]

انني اجد الان غبطة حقيقية وانا ارى الادب الشيوعي يزرع في المانيا. لقد اصبح ذلك الان امرا مفروغا منه. منذ سنة فقط بدأ الادب الشيوعي ينمو بالكاد خارج المانيا، في باريس، بل انه في الحقيقية كان قد ولد وحسب. اما الان فها هو يستولي على الالماني نفسه في عقر داره. ان الامور تسير على خير ما يرام، وقد صدرت جرائد، اسبوعيات، مجلات شهرية وفصلية، انها لمدفعية حقيقية من عيار ثقيل. وكل ذلك تم بسرعة فائقة [2]. ولقد اثمرت الدعاية السرية هي الاخرى: فكلما ذهبت الى كولونيا وكلما دخلت هنا الى خمارة المس تقدما جديدا واجد انصارا جددا.

لقد كان الاجتماع كولونيا اثر حسن: فقد بدأت اكتشف شيئا فشيئا وجود جماعات صغيرة معزولة من الشيوعيين نمت في الخفاء، بدون ضجيج وبدون تدخل مباشر من طرفنا.

لقد نجحنا ايضا في السيطرة على الاسبوعية **«جيماين تسوجه»** التي كانت توزع سابقا في نفس الوقت مع راينيش تسايتونج [3]. لقد تعهد بتسييرها دستير وسيقرر ماذا عسى ان نصنع بها. لكننا الان في اشد الحاجة لبعض الكتب الكبيرة لكي نعطي نقطة ارتكاز صلبة

١- من انجلز الى ماركس، ٢٠ يناير ١٨٤٥.

٢- ما كادت الحكومة الالمانية تنتبه لخطر انتشار الافكار الشيوعية عليها حتى سارعت الى اتخاذ تدابير استبدادية لوضع حد لحرية الصحافة. وصادرت الكتب والمجلات «المشبوهة»، وشيئا فشيئا تلاشى التحريض الشيوعي.

٣- تعاون ماركس مع اسرة هذه الجريدة البورجوازية الراديكالية في ابريل ١٨٤٢. ثم اصبح رئيس تحريرها في اكتوبر ١٨٤٢. وعندئذ اصبحت الجريدة راديكالية حقا فمنعتها الحكومة البروسية في ٣١ مارس ١٨٤٣ خاصة بعد تدخل قيصر روسيا الذي تملكه الغضب من نقد ماركس الذي لا يرحم للاتوقراطية القيصرية. والجدير بالذكر ان كتابات ماركس ضد روسيا القيصرية لم تترجم حتى الان الى الروسية ككذلك مقاله الشهير عن حرية الصحافة!

للعديد من انصاف – الجهلة الذين لا ينقصهم صدق العزيمة لكنهم عاجزون عن تدبير امرهم وحدهم. لا تدخر جهدا لانهاء كتابك عن الاقتصاد السياسي [١]، حتى لو كنت غير راض كل الرضى عن مقاطع عديدة منه، فلا اهمية لذلك لان الافكار نضجت وينبغي طرق الحديد ما دام ساخنا. بالتأكيد، سيكون لكتابي عن شروط الطبقة الكادحة في انجلترا تأثيره هو الآخر، لان الوقائع التي يحتويها مؤثرة

١- يشير انجلز الى كتاب ماركس الحاسم **نقد السياسة والاقتصاد السياسي** الذي لم ينشر الا في ١٩٢٣ تحت اسم: **مخطوطات ١٨٤٤** الاقتصادية – الفلسفية. وهذا الكتاب بالغ الاهمية وما يزال الى الان راهنا، بل في قلب المشروع الثوري الجديد. ففيه حدد ماركس النقاط المركزية لمنطلقات المشروع الثوري البروليتاري لثورة تستلهم شعرها من المستقبل لا من الماضي:

- تحول العلاقات السائدة في المجتمع الراهن بين الانسان وما ينتجه. فهو لا يمتلك انتاجه بل ان انتاجه هو الذي يملكه. وهو لا يمتلك وقته بل هو مملوك لوقتـ«ـه» الذي كف في المجتمع الطبقي عن كونه وقته. ومن لا يمتلك وقته لا يمتلك حياته. حياتك هي وقتك. وهكذا فان انتاج الانسان انفصم عنه ثم رد، كخنجر، تاى نحره، من قطعة منه تحول الى قوة غريبة عنه ومعادية له. والمجتمع الثوري القادم لا يمكن ان يكون الا القلب الراديكالي لهذا المنظور حيث يكف منتوج نشاط الانسان (الانسان الذي حل التناقض بين نشاطه اليدوي والذهني) عن كونه منفصلا ومغتربا عن المنتج المباشر ليصبح «تجسيدا Objectivation لفرديتي الخاصة».
- عمل الانسان، في شروط المجتمع الراهن، ليس حرا، ليس نشاطا ذاتيا، ليس ابداعا، ليس نشاطا لذيّا وبكلمة ليس تحقيقا للذات: «اذا كان على كل واحد منا ان يصر على ان يصبح «انسانا» اكثر، فان الحكم على الانسان بان يقوم بعمل آلة وهو حكم عليه بان يكون عبدا. اذا كان على عامل المصنع ان يستنزف نفسه في العمل خلال ١٢ ساعة واكثر، فان رب العمل قد سحب منه امكانية ان يكون انسانا. على كل عمل ان يضع نصب عينيه ارواء الانسان. فعلى الانسان، اذن، ان يصبح سيد عمله، ان يكون قادرا على انجازه في شموليته. العامل الذي يعمل في مصنع دبابيس لا شغل له الا وضع رؤوس الدبابيس او سحب الاسلاك الخ يعمل، بشكل ما، عملا آليا، يعمل كآلة، فهو نصف متكون، ولن يصبح ابدا «ربا»، فعمله لا يستطيع ان يرضيه في ذاته، ليس له هدف في ذاته، وهو ليس كاملا في ذاته. انه لا يعمل الا تحت امرة آخر ومستغل من هذا الآخر». «ومثلما نرى، في الدين، النشاط العفوي لخيال الانسان، لدماغه ولقلبه يرتد الى نحره، يتصرف باستقلال عنه كنشاط مغترب، فكذلك نرى ان نشاط العامل ليس نشاطه العفوي، بل هو نشاط كائن آخر وقتل لعفوية العامل الاصيلة». ولذا فتحرير العمل، تحويل العمل الآلي، العمل المفروض الى نشاط واع وحر (وهذا ما اسماه ماركس في الايديولوجية الالمانية، القضاء على العمل ذاته) و«الاطاحة الشاملة بجميع صنوف الاغتراب» تصبح هدف ومضمون المجتمع الثوري القادم، حيث تتصالح الانسانية المشطورة الى طبقات مع نفسها ويتصالح مبدأ النشاط مع مبدأ اللذة.

جدا. بيد انني اريد ان اكون اكثر حرية لكي اعرض عرضا مفصلا امورا شتى قد تكون اكثر حسما وفاعلية في الوقت الراهن وبالنسبة للبورجوازية الالمانية.

انهما لسمة من سمات الحقبة، ونتيجة لتحلل المخلفات الاقطاعية للامة الالمانية، ان نكون نحن الالمان اساسا مفكرين نظريين. بيد انه سيكون من السخف ان لا نكون قادرين على تطوير نظريتنا. وفعلا فاننا لم نكن قادرين حتى على نقد هذه الشروط السخيفة. وعليه فقد آن الاوان الان. رتب امورك لكي تنتهي من الكتاب في ابريل. اعمل مثلي: حدد لنفسك اجلا: تلتزم خلاله بانهاء الكتاب رغم كل شيء. واحرص على طبعه فورا (...) فمن الضروري ان يصدر الكتاب سريعا.

تكوين لجنة المراسلة الشيوعية

في بداية ١٨٤٦ اسس ماركس وانجلز لجنة المراسلة الشيوعية لتجميع الشيوعيين والاشتراكيين في لجنة مراسلة اممية كفيلة بتنسيق جهود وقوى التجمعات والعناصر الشيوعية التي كانت مشتتة ومعزولة بعضها عن بعض في

• مثلما ان علاقة الانسان، في اطار مجتمع الطبقات، مع الطبيعة، مع العالم، علاقة معطوبة. فالانسان، الذي **فككته الدولة وحطمته** الملكية الخاصة، اعجز من ان يمتلك العالم، اعجز من يؤله ناسوته، فكذلك علاقة الانسان بالانسان هي علاقة لا تقل عطبا. انها علاقة معوجة لانها محكومة بعلاقة السيد بالعبد، علاقة العامل بمنظمي عملية الاستغلال سواء اكانوا بورجوازيين او بيروقراطيين. والثورة هي الامكانية الوحيدة القادرة على تقويم هذا الاعوجاج، هذا الاعوجاج الذي هو علة اعوجاج العالم الراهن كله. مضمون هذه الثورة هو الشيوعية. والشيوعية هي «الحل الحقيقي لصراع الانسان مع الطبيعة، لصراع الانسان مع الانسان، هي الحل الحقيقي للنزاع بين حياة الانسان (اليومية) وجوهره، بين الموضعة وتأكيد الذات، بين الحرية والضرورة، بين الفرد والنوع. الشيوعية هي لغز التاريخ وقد وجد حله، وهي تعرف انها ذلك الحل».

كل مشروع يسمي نفسه ثوريا ولا ينطلق من هذا المشروع المركسياني للثورة لن يكون – وقد كان حتى الان – الا محاولة لتجديد الشباب الزائف لهذا العالم الهرم!

جميع انحاء اوربا الغربية اذ ذاك. وقد رأى ماركس وانجلز انه لا بد من دعوة الاشتراكيين الاوربيين لتخطي تشتتهم وقطريتهم وقيودهم القومية بالانضمام الى لجنة المراسلة الشيوعية، كخطوة اولى على طريق تكوين تنظيم شيوعي اممي يضم جميع التنظيمات البيروليتارية لا في اوربا وحسب بل في العالم المتمدن كله. وقد استجاب للدعوة كل من الجناح اليساري للحركة الشارتية والجمعية العمالية الالمانية. اما الاشتراكيون الفرنسيون فقد رفضوا الانضمام للجنة. لان النزعة القومية عندهم كانت ما زالت تطمس وعيهم الاممي، بعكس الاشتراكيين الانجليز والالمان. بالطبع لم يكن هدف اللجنة يتجاوز ربط الاتصال وتبادل وجهات النظر بين جميع الاتجاهات والتيارات الاشتراكية. ولكن اللجنة كانت المسودة الاولى للاممية التي ستتكون في ١٨٦٤.

على الحركة الاجتماعية ان تتخلص من قيودها القومية [1]

باتفاق مع صديقي انجلز وجيجو... نظمت مراسلة مستمرة مع الشيوعيين والاشتراكيين الالمان. همها مناقشة المشاكل العلمية ونقد جميع الكتابات الشعبية وكذلك الدعاية الاساسي لمراسلتنا سيكون ربط خيط الاتصال بين الاشتراكيين الالمان والاشتراكيين الفرنسيين والانجليز، واحاطة الاجانب علما بالتحريض وبالمنظمات الاشتراكية التي تظهر في المانيا واعلام الالمان بتقدم الاشتراكية في كل من فرنسا وانجلترا. وهكذا فان الاختلاف في وجهات النظر يمكن ان يبدو للعيان، ونصل جميعا الى تبادل الافكار والى نقد منصف. انها لخطوة يتحتم على الحركة الاجتماعية ان تنجزها، في شكل تعبيرها

١- رسالة ماركس الى برودون، ٥ مايو ١٨٤٦. وقد رفض برودون عرض ماركس. وحتى قبل تكوين لجنة المراسلة الشيوعية كان ماركس وانجلز يمارسان، في نشاطهما الصحفي، تعريف عمال العالم المتمدن بنشاط بعضهم البعض. وما كان لحدث ثوري ان يجد في اي مكان من العالم دون ان يتناولاه بالتعريف والتحليل ويستخلصا مدلوله التاريخي.

الادبي، لكي تتخلص من قيودها **القومية**. سيكون مفيدا جدا للجميع ان يكونوا، في لحظات النشاط الثوري، على علم بما يجري في البلدان الاخرى تماما كما يعرف كل منهم ما يجري في بلده نفسه[١].

ان مراسلتنا، فضلا عن الشيوعيين في المانيا، ستضم ايضا الاشتراكيين الالمان في كل من باريس ولندن. لقد اقمنا العلاقات مع انجلترا. اما فيما يخص فرنسا، فاننا جميعا نعتقد باننا لن نجد فيها مراسلا افضل منك: وانت تعرف ان الانجليز والالمان قد قدروك حتى الان اكثر مما قدرك مواطنوك انفسهم.

ان المطلوب اذن هو بكل بساطة تكوين مراسلة منتظمة وتأمين الوسائل التي تمكنها من متابعة الحركة الاجتماعية في شتى البلدان، ومن جمع استنتاجات غنية ومتنوعة لا يستطيع عمل فرد واحد ان يحققها هيهات.

(...) لا حاجة لان اضيف بان هذه المراسلة تتطلب منك الكتمان المطلق. **ففي** المانيا على اصدقائنا ان يتصرفوا بحذر شديد لاجتناب الخطر.

ملحق – احذرك من جرين [٢] الموجود حاليا بباريس. هذا الشخص ليس الا مجرد نصاب ادبي، مجرد دجال يسعى للاتجار بالافكار العصرية.

١- مضت ١٢٧ عاما على كتابة ماركس لهذه الرسالة لكن مضمونها ما زال راهنا بالحاح. فما زال على الحركة الشيوعية في العالم ان تتخلص من قيودها القومية البائسة وان تحطم قواقعها القطرية العازلة لتلتقي في تنظيم اممي شكلا ومضمونا.

٢- حمل موسى هس وكارل جرين راية الاشتراكية الصحيحة التي شجبها ماركس وانجلز بعنف مستحق خاصة في الايديوجيا الالمانية.

بما ان فلسفة فيورباخ كانت نزولا بالدين من سماء النبوة الى ارض الفلسفة: «الفلسفة الجديدة (فلسفة فيورباخ نفسه) تحتل مكان الدين. انها تشتمل في ذاتها على جوهر الدين. بل انها في الحقيقة هي نفسها دين»

نرفض التفرغ والمتفرغين [١]

(...) اننا نشاطرك تماما الرأي بان على الشيوعيين الالمان ان يخرجوا من عزلتهم وتشتتهم الراهنين وان يقيموا علاقات منتظمة ومتواصلة بينهم، كما نشاطرك الرأي حول راهنية الحاجة

(فيورباخ) فقد اراد هس وجرين ان تكون اشتراكيتهما الصحيحة تحقيقا لفلسفة فيورباخ التي تجسد في تقديرهما القيم الانسانية الخالدة.

التصور المركزي للاشتراكية الصحيحة هو ذات التصور المركزي للفلسفة الفيورباخية: «الطبيعة الانسانية»، «الجوهر النوعي Générique»، هذا القاسم المشترك الاعظم بين بني الانسان جميعا. هذه الطبيعة الانسانية ليست طبيعة تاريخية تكونت بفعل شروط الحياة التي عاش ويعيش فيها الانسان فردا ونوعا وتتغير بالتالي هذه الشروط ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا، بل هي طبيعة انسانية (اقرأ ميتافيزيقية) ثابتة لا تحول ولا تزول. وبقدر ما تحقق الاشتراكية هذه الطبيعة الانسانية اللاتاريخية تكون «صحيحة».

العنصر الحاسم في الطبيعة الانسانية هو الحب «دين الانسانية الجديد ... وسماؤه هي قلوب الاخيار من بني الانسان» (هس) الذي ينبغي ان يكون عماد المجتمع الجديد. والذي عرقل حتى الان قيام مجتمع الحب هو الانانية. لكن هل يحق للانسان ان يحارب هذه الانانية لكي يقيم مجتمع الحب؟ كلا! يجيب هس وجرين، لان الحرب نقيض الحب. ولذا فهما يرفضان الصراع الطبقي. لان مبرر ظهور الاشتراكية الصحيحة ليس ارادة الانسان، وقد اصبح طبقة مكتملة العدد والعدة، وانما هو المثل الاخلاقية التي لا بد من ان تنتصر ذات يوم او ذات حقبة.

لا بد هنا من الاشارة العابرة لتأثر ماركس الواضح بنقد هس لاقانيم المجتمع البورجوازي: النقود، المسيحية، حقوق الانسان ... هذا التأثير الذي ظلت بصماته واضحة على مجما نظرية ماركس: «كل يعمل حسب طاقته ويستهلك حسب حاجته، هذا هو المبدأ الصحيح لظهور اتحاد عقلاني بين بني الانسان» (هس) مثلا. وهس هو الذي دشن الانتقال من نقد السماء الى نقد الارض، من نقد الاغتراب الديني الى نقد الاغتراب الاقتصادي، من نقد الرق القديم الى نقد الرق الجديد (البورجوازي). وقد تبادل ماركس وانجلز مع هس اعجابا باعجاب. فقد قيم انجلز هس بانه «اول شيوعي في الحزب» و «الاول الذي وصل الى الشيوعية عبر الفلسفة». وفي رسالة الى فيورباخ قيم هس ماركس منذ اول لقاء بينهما (ابريل ١٨٤١) تقييما ألمعيا: «الدكتور ماركس هو الذي سيوجه للدين وللسياسة القرووسطية قاصمة الظهور. انه يجمع بين الجد الفلسفي العميق الى ابعد مدى والتفكير النقدي الى ابعد مدى. تخيل روسو، فولتير، هولباخ، ليسنج، هاينه، وهيجل وقد صهروا في شخص واحد، اقول جيدا صهروا الا القي بهم معا في كومة، اذا تخيلت ذلك تخيلت الدكتور ماركس». وحتى بعد القطيعة النظرية النهائية بين هس وماركس، ساند هس ماركس في الاممية.

١- رسالة ماركس وانجلز ١٥ يونيو ١٨٤٦ الى ج.أ. كوتجن.

الملحة الى تكوين جمعيات للمطالعة والمناقشة. وذلك لان على الشيوعيين اولا ان يدركوا بوضوح مواقفهم هم انفسهم، وهو ما لا سبيل اليه بدون لقاءات منتظمة هدفها مناقشة المشاكل الشيوعية. وهكذا فاننا نوافقك تماما على ضرورة اعداد كتب وكراسات رخيصة وسهلة الفهم وذات مضمون شيوعي.

انك مدرك لضرورة مواصلة دفع مبلغ صغير من النقود بانتظام. بيد انه يجب علينا، من جهتنا، ان نرفض اقتراحك القائل بان هذه الاشتراكات يجب ان ترصد لمساعدة المتفرغين للكتابة (في الصحافة الشيوعية) لكي يكونوا في مأمن من الاحتياج [١]. واننا نرى ان هذه الاشتراكات لا يمكن استخدامها الا لتغطية نفقات طبع المنشورات والكراسات الشيوعية القليلة التكاليف وكذلك نفقات المراسلة الداخلية والخارجية. وسيكون من الضروري تحديد حد ادنى للاشتراكات الشهرية، لكي يكون من الميسور في اي لحظة وفي رمشة عين ويقين تحديد ما يمكن استخدامه منها للاحتياجات الجماعية. وزيادة على ذلك، عليك ان تعطينا اسماء اعضاء جمعيتك الشيوعية نظرا الى انه ينبغي ان نعرف نوعية الناس الذين سنربط صلتنا بهم، كما انكم انتم تعرفون تماما من نحن (...).

حقا انك تعلل نفسك بوهم فيما يخص البرلمان الفدرالي

١- التقليد البيروقراطي في جوهره – تقليد التفرغ للصحافة والاجهزة الحزبية والنقابية لقاء اجر، والذي كان مشؤوما على الحركة العمالية بما ادخله عليها من جيش من المتفرغين المرتزقة المستعدين، محافظة على امتيازات تفرغهم، بان يجعلوا من التنظيم وصحافته، وهما في الاصل مجرد اداتي نضال بين ادوات اخرى، بيد الطبقة العاملة، غاية في حد ذاتهما – حاربه ماركس وانجلز. ولم يصبح تقليدا مقبولا ومعمما الا بفضل برنشتاين وكاوتسكي. والمتفرغون هو دائما الناطقون باسم الاجهزة، واعداء القاعدة. وهم دائما محافظون وميالون الى المساومة والتعاون مع العدو الطبقي لان الصدام يشكل خطرا على استقرارهم وتفرغهم. ولهذا كانت احدى علامات التنظيمات الماركسية الثورية الجديدة الاستبعاد الواعي للمتفرغين فيها.

(الاتحادي) [١] وسلطات الدوائر، الخ. ان بيانا لا يمكن ان يكون له مفعول الا اذا وجد في المانيا حزب شيوعي قوي ومنظم، وهذا ما لا وجود له الان. ولا معنى لعريضة الا اذا اخذت شكل تهديد نقف وراءه جماهير غفيرة ومنظمة. كل ما بوسعكم عمله – اذا كانت ظروف دائرتكم مهيأة لذلك –، هو تهيئة عريضة مذيلة بتواقيع عمالية هائلة و**عديدة**.

لا نعتقد ان لحظة عقد مؤتمر شيوعي قد حانت. ولن تحين الا اذا امتدت بعض اللجمعيات الشيوعية لالمانيا كلها وهيأت وسائل وسبل نشاطها، عندئذ يمكن لمندوبي مختلف الجمعيات ان يجتمعوا في مؤتمر تتوفر له امكانيات النجاح. وذلك ما لا سبيل اليه قبل السنة القادمة.

وحتى ذلك التاريخ، ستكون الوسيلة الوحيدة للنشاط المشترك هي تبادل وجهات النظر وتوضيح الامور بواسطة مراسلة منتظمة.

اننا من هنا نتبادل من حين لآخر مراسلات مع الشيوعيين الانجليز والفرنسيين وكذلك مع الشيوعيين الالمان في الخارج. وكلما استلمنا تقارير عن الحركة الشيوعية في انجلترا او في فرنسا، وبصورة عامة، كلما عرفنا امرا من الامور فسنحيطكم به علما.

اعطنا عنوانا **مأمونا** (...) واليك عنواننا **المأمون تماما** (...).

ملاحظة: (...) اذا نفذتم مشروع العريضة، فان ذلك لن يفضي بكم الا للاعلان الصريح عن ضعف الحزب الشيوعي واحاطة

١- كان من مصلحة ملك بروسيا ان يلعب ورقة البروليتاريا ضد البورجوازية الليبرالية الناشئة. ولذلك فقد اظهر عناية بمطالب العمال. وقد فضح ماركس مناورة الملك في مقاله: **«ملاحظات نقدية حول مقال روجه: ملك بروسيا والاصلاح الاجتماعي»** وسننشره قريبا في مقالات اخرى لماركس كتبها في نفس الفترة.

الحكومة علما بأسماء الذين يجب ان تراقبهم عن كثب. اذا لم تكونوا قادرين على تقديم عريضة موقعة من ٥٠٠ عامل على الاقل، فتصرفوا عندئذ مثل بورجوازي تريف عندما يطالبون بفرض ضريبة تصاعدية على الدخل: اذا رفض بورجوازيو المكان المشاركة فيها، فالتحقوا حالا بهم في المظاهرات العامة. تصرفوا تصرفا يسوعيا: اضربوا صفحا من النزاهة الالمانية التقليدية، وعن الوفاء العاطفي والاطمئنان الروحي بتوقيعكم وتنشيطكم العرائض البورجوازية المطالبة **بحرية الصحافة** وبالدستور الخ. اا تحقق كل هذا، فانه سيكون عهدا جديدا للدعاية الشيوعية، وستكون وسائل نشاطنا عديدة، وسيحسم التناحر بين البورجوازية والبروليتاريا. في اي حزب يحب دعم كل ما من شأنه ان يساعد على تقدم الحركة، ولا ينبغي، بصدد هذه النقطة، ان يعتوركم اي تردد اخلاقي مضجر.

واخيرا عليكم ان تنتخبوا لجنة دائمة للمراسلة تجتمع بانتظام لاعداد ومناقشة رسائلكم الينا. اما اذا لم يقع ذلك فستكون مراسلتكم لنا فوضى. اختاروا الشخص الذي ترونه الاقدر على اعداد الرسائل. يجب استبعاد الاعتبارات والمراعاة الشخصية، لانها هي التي تفسد كل شي (...).

النشاط داخل رابطة الشيوعيين [١]

ليس هناك ما يستحق الذكر في مناقشاتي مع **الشيوعيين** ذوي

١- من انجلز الى ماركس، ٢٢ اكتوبر ١٨٤٦. وفي هذه الفترة كان انجلز يقوم بنقاش مع اعضاء رابطة العادلين في باريس، التي ستصبح فيما بعد رابطة الشيوعيين، لدحض «الاشتراكية الصحيحة» التي كان جرين وأنصاره قد نشروها بينهم. وكان انجلز يحاول اقناع اعضاء الرابطة بتخطي مواقعهم النظرية البلانكية اساسا الى مواقعه هو

الاصل الحرفي في باريس. ما هو اساسي هو ان النقاط مثار النزاع التي كان عليّ ان اسويها معهم قد حلت الان. اكثر انصار وتلاميذ جرين اهمية – بابا ايزرمان – طرد بينما فقد الآخرون تأثيرهم على **الجمهور**، وقد طرحت ضدهم قرارا صودق عليه بالاجماع.

واليك الوقائع باختصار:

ناقشنا لثلاث ليال متتالية مشروع برودون حول الجمعيات Associations. في البداية كانت الجماعة بالاجماع تقريبا ضدي، اما في نهاية المناقشات فلم يبق منهم ضدي الا ايزرمان و ٣ آخرين من انصار جرين.

لقد كان من الضروري البرهنة لهم قبل اي شيء اخر على ضرورة الثورة العنيفة ودحض اشتراكية جرين «الصحيحة» (التي وجدت حيوية جديدة في ترياق برودون السحري) مقيما البرهان على انها اشتراكية مضادة للبروليتاريا، بورجوازية صغيرة وتستمد الهامها من الحنين الشيوعي للحرفيين الذين تجاوزتهم الصناعة الحديثة.

وماركس. وبعد سجال انجلز مع اعضاء الرابطة وفروعها في باريس، حدث فيها انشقاق موجة ضد العناصر المتأثرة بيلانكي، برودون وفايتلينج. وانتقلت القيادة الى فرع رابطة العادلين في لندن. هذا الفرع الذي دعا بعد نقاش وتردد ماركس وانجلز الى تحرير البيان الشيوعي واعادة تنظيم الرابطة على اساس ديموقراطي. وفعلا قبلا الدعوة وانخرطا في الرابطة بعد ان اصبح اسمها رابطة الشيوعيين على شرطين: ان يدخلاها بالانتخاب وان يكون مسؤولو الرابطة قابلين للعزل في اي لحظة من قبل القاعدة التي انتخبتهم. وهكذا فعلى الشيوعيين دائما ان يمارسوا نقدا مفحما، لا يرحم لا ضد المجتمع الرأسمالي وحسب بل ضد جميع منوعات الوعي الزائف وجميع اشكال النقد الجزئي، الاصلاحي والاستردادي الذي هدفه الحقيقي قطع الطريق على النقد الجذري لا الاطاحة بالنظام السائد. وفي هذا المنظور كتب ماركس «بؤس الفلسفة» الذي اعتبره انجلز برنامجه هو وماركس الذي هدفا منه لتصفية الاشتراكات القديمة التي عاشت دهرها واعداد مشروع ثوري جديد لثورة اشتراكية جديدة «تستمد شعرها من المستقبل» لا من الماضي.

من كثرة ما استمعت لنفس حجج خصومي تعاد دون ملل، تملكني الغضب في النهاية وهاجمت مباشرة شيوعية الخياطين، وذلك ما اثر استياء انصار جرين وصدمهم، ولكنه مكنني من ان انتزع من الحقير ايزرمان هجوما صريحا على الشيوعية. وفورا افحمته بقسوة لم يعد بعدها للهجوم قط.

ومذ ذاك اصبحت ارجع الى الحجاج الذي قدمه ايزرمان نفسه عندما هاجم الشيوعية، خاصة وان جرين الذي لم يكف عن المناورة كان يتجول بين الورشات ويجمع الناس ببيته بعد اجتماعات الاحد. وفي النهاية ارتكب الحماقة الكبرى بهجومه هو الآخر على الشيوعية امام عشرة حرفيين. ونتيجة لذلك فقد أعلنت بأنه لا بد، قبل اية مناقشة، من التصويت لنحدد ما اذا كانت علاقتنا هي مع اناس يريدون ان يكونوا شيوعيين ام لا. اذا كان التصويت بنعم فان علينا ان نسهر على تجنب العودة الى مهاجمة الشيوعية على نحو ما صنع ايزرمان، واذا كان التصويت بلا، اي بان المجتمعين هم اناس كجميع الناس مجتمعين هنا لمناقشة اي موضوع، فاني سأتركهم وشأنهم ولن اعود بعد ذلك الى اجتماعهم [1]. أثار اقتراحي اضطرابا كبيرا بين انصار جرين الذين احتجوا بانهم موجودون في هذا الاجتماع لـ «خير الانسانية» وللاستفهام، وبانهم اناس تقدميون وليسوا متعصبين، وباختصار لا يمكن نعت اناس محترمين مثلهم بانهم «كجميع الناس». وفضلا عن ذلك فقد كان **ينبغي اولا ان يعرفوا** ما هي الشيوعية (ظل هؤلاء الكلاب طوال سنوات يسمون انفسهم شيوعيين، ولم يصبحوا مناهضين للشيوعية الا تحت تأثير

١- المناقشات مع العدو الطبقي لاقناعه بالتي هي احسن والكتابة في صحفه التي هي اداة قمعه الاديولوجي لها دلالة وحيدة وخطرة: الانكار العملي للصراع الطبقي الشامل. لان صراع الطبقات ليس مجرد شعار فارغ يرفع كما ترفع الطقوس، بل هو ممارسة فعلية يجب ان تتجلى في تصرفات الثوريين وعلاقاتهم في الحياة اليومية.

مهماز جرين وايزرمان اللذين تسللا بينهم تحت ستار الشيوعية [١]!) ومن البديهي انني امام مثل هذه الجهالة الجهلاء. لم استحب الى طلبهم اللطيف بتفسير الشيوعية بكلمة او كلمتين. قدمت لهم تعريفا بسيطا الى اقصى حد لم يتجاوز النقاط المتنازع عليها في النقاش. قدمت الاشتراك في الخيرات المادية بطريقة تستبعد كل مسألة، وكل ملاطفة واحترام للبورجوازيين بل حتى للحرفيين وشركات المساهمة على طريقة برودون التي تحافظ على الملكية الفردية، متجنبا كل ما كان من شأنه ان يدفع الى الاستطراد او ينحرف عن ضرورة التصويت الذي اقترحته. لقد حددت اهداف الشيوعية على هذا النحو:

١- تغليب مصالح البروليتاريين على مصالح البورجوازيين.

٢- الوصول الى هذا الهدف بالقضاء على الملكية الخاصة واستبدالها بالاشتراك في الخيرات المادية. ولتحقيق ذلك لا يجوز قبول اية وسيلة غير وسائل الثورة **العنيفة والديموقراطية**.

(...) وعندما انتقلنا للتصويت قرر المجتمعون بانهم شيوعيون بمعنى التعريف الذي قدمته وذلك ب ١٣ صوتا ضد ٢ (...).

المبادئ الشيوعية [٢]

(...) قبل قدومي ببضعة ايام طرد آخر انصار جرين (...) عددنا الان لا يتجاوز الثلاثين. لقد كونت بسرعة كومونة (خلية) للدعاية.

١- المجمع الشيوعي بالنسبة لماركس وانجلز – لم يكن توقا مبهما بل تتويج ضروري للتطور الاقتصادي – وهو من ثم مركز النشاط الثوري والنظرية الثورية. ومن ثم احتقار انجلز للشيوعيين الذين لم يكونوا يعرفون هم انفسهم الى ماذا يطمحون. واليوم سبب تفسخ الحركة العمالية العالمية كل شيء بما في ذلك المنظور الشيوعي نفسه. ويمكن ان نعد بالملايين اولئك الذين يزعمون انهم ماركسيون ولا يعرفون ان **الاشتراكية هي القضاء على التجارة، على النقود** وعلى **العمل المأجور**. هذه السمات البورجوازية التي تنمو اليوم بوتائر سريعة في الديموقراطيات الشعبية (ملاحظة من الناشر الفرنسي).

٢- من انجلز الى ماركس ٢٦ اكتوبر ١٨٤٧.

وانني لنشط جدا. لقد انتخبني اعضاء الكومونة وكلفوني بالمراسلة (...).

اقول لك، لكن ليبقى ذلك سر بيننا، لقد دبرت لموسى هيس (رفيق جرين ونصير الاشتراكية الصحيحة) حيلة ماكرة. لقد جعل المنطقة تصادق على «بيان سياسي» Profession de Foi [١] عاطفي حسّنه الى اقصى حد. ويوم الجمعة الماضي تناولت هذا البيان في اجتماع المنطقة بنقد مفصل تفصيلا: لم اكد اصل الى منتصف الوثيقة حتى صرح الجميع بانهم مقتنعون. **ودون ادنى معارضة** كلفت باعداد بيان سياسي [٢] ستناقشه المنطقة يوم الجمعة القادم، وسنرسله الى لندن من **وراء ظهر الكومونات**. وينبغي ان لا يفطن اي انسان للموضوع، والا فاننا سنعزل جميعا. وذلك سيكون فضيحة رهيبة [٣].

١- في مؤتمر يونيو ١٨٤٧ حيث غيرت رابطة العادلين اسمها فاصبحت رابطة الشيوعيين، دار النقاش حول ضرورة البرنامج. وتقرر اسناد مهمة اعداد بيان سياسي للجنة المركزية المكونة من شابير، هاور ومول. وبعد اعداد امشروع البيان ارسل الى الكومونات والمناطق. لكن ماركس وانجلز لم يكونا راضيين عنه لان طابع الشيوعية الطوباوية كان طاغيا عليه. ولم يكن مشروع البيان الذي نقحه موسى هيس، في نظرهما، بأفضل من الاصل.

٢- اعد انجلز نصا آخر قريبا من حيث الشكل من بيان الرابطة تحت اسم «المبادئ الشيوعية» (ترجم الى العربية – دار الطليعة) تحت اسم «تعاليم الماركسية»، وهو تحريف غير موفق للعنوان الاصلي اقترفه المترجم الذي استبدل المبادئ بالتعاليم، علما بان انجلز طلب من ماركس (انظر هنا رسالته ٢٦-١١-٤٧) استبدال كلمة التعاليم في مسودة البيان بكلمة البيان، واستبدل المترجم كلمة الشيوعية التي ترمز للهدف النهائي بكلمة ماركسية. علما بان مضمون «المبادئ الشيوعية» ليست ماركسية لان ماركس لم ينظر اليها بعين الرضى، ولم يستعر منها عند اعداد البيان الشيوعي في صيغته النهائية، هذا البيان اصبح البرنامج النهائي للرابطة، غير بنود البرنامج الاصلاحي الذي ذيل به البيان الشيوعي، وهو الجزء الذي صرح ماركس وانجلز في مقدمة لاحقة للبيان الشيوعي بانه شاخ. لعل المترجم لا يعرف ان كلمة التعاليم دينية مسيحية، وان الماركسية ليست الوصايا القديمة! واذن فتعاليم الماركسية هو تناقض في الصيغة لا اكثر.

٣- كان عند ماركس وخاصة انجلز، في بداية نشاطهما التنظيمي بين المنظمات البورجوازية الصغيرة التي حاما حولها قبل الدخول في رابطة الشيوعيين ١٨٤٧، بعض الرواسب البلانكية، والبلانكية كانت اذ ذاك قبل ظهور وانتشار نظريتهما، هي الاديولوجيا السائدة خاصة في التنظيمات البورجوازية الصغيرة الثورية، تماما كما كانت اديولوجيا

(...) آه كدت انسى ان اقول لك ان الحقير هينتسن لأمطرني، من اعالي الالب، بهتون من الطين [١]. ومن حسن الحظ ان مقاله طويل ولن يقرأه احد حتى النهاية.. يا له من حمار أحمق! اذا كنت زعمت بانه لا يحسن الكتابة، فان علي ان اضيف الان بانه لا يحسن القراءة ايضا، ولا يبدو انه يعرف استخدام العمليات الحسابية الاربعة. كان على هذا الجحش ان يقرأ رسالة اوكونور للصحف الراديكالية (...) وهي الرسالة التي وصف فيها هذه الصحف بانها «قوادة» وختمها بنفس الوصف: كان على هينتسن ان يعلم بانه في باب الشتائم ليس الا تلميذا بائسا. لكنك قادر على ان تضع هذا الغبي الثقيل الظل في مكانه. والافضل هو ان يكون ردك عليه **قصيراً**. لن استطيع في مطلق الاحوال الرد على شتائمه الا اذا كان الرد بصفعتين قويتين على خديه [٢].

اليعاقبة الثورية، لكنهما تخطيا راديكاليا منذ تجربة رابطة الشيوعيين، التي كانت ديموقراطية من الباب الى المحراب، الممارسات البلانكية. كما تخطيا فيما بعد كل تأثيرات الايديولوجيا اليعقوبية عليهما (انظر ملاحظة انجلز حول الدولة المركزية في كلمات حول رابطة الشيوعيين بالجزء الثاني من هذا الكتاب).

١- يشير انجلز الى مقال كارل هينتسن: «ممثل للشيوعيين» الذي اظهر في الجريدة الالمانية البروسية ردا على مقال انجلز «الشيوعيون وكارل هينتسن».

٢- استجاب ماركس لطلب انجلز فكتب في اخر اكتوبر ١٨٤٧ دراسة طويلة: «النقد الاخلاقي والاخلاق النقدية. اسهام في تاريخ الحضارة الالمانية».

القانون الاساسي لرابطة الشيوعيين (١)
يا عمال العالم اتحدوا!

القسم ١ – الرابطة

البند ١ – ان هدف الرابطة ★ هو قلب البورجوازية، اقامة سيطرة البروليتاريا، القضاء على المجتمع البورجوازي القديم القائم على التطاحن الطبقي وتأسيس مجتمع جديد لا طبقات فيه ولا ملكية خاصة فيه.

١- اسهم كل من ماركس وانجلز بحصة الاسد في اعداد هذا القانون الاساسي اثناء المؤتمر الاول (يونيو ١٨٤٧) لرابطة الشيوعيين. وبعد المؤتمر قدم الشمروع لكومونات (خلايا) الرابطة لكي تناقشه بدورها. ثم ناقشته لآخر مرة قبل المصادقة عليه في المؤتمر الثاني للرابطة (٨ ديسمبر ١٨٤٧). والقانون الاساسي ينص في بنده الاول على ان الهدف الدائم لكل تنظيم شيوعي ثوري هو القضاء على المجتمع القديم، وسيطرة البروليتاريا كطبقة. وينص في بنده الثالث على ان «جميع الاعضاء متساوون واخوة» ومساواة الاعضاء في التنظيم تعني انتقاء الامتيازات التي هي السمة الابرز لجميع التنظيمات الشيوعية البيروقراطية.

★ اعتمدنا في ترجمة هذا النص على الاعمال الكاملة. كوست ١٩٥٣ (البيان الشيوعي وملاحق).

البند ٢ – ينبغي فيه ان تتوفر الشروط التالية في من يرغب في الانتماء الى الرابطة:

أ – نمط حياة ونشاط مطابقان لهدف الرابطة.
ب – الطاقة الثورية والتحمس للتحريض.
ج – ان يتبنى الشيوعية مذهبا له.
د – الامساك عن الانتماء الى اي جمعية، سياسية او قومية، معادية للشيوعية، واعلام اللجنة العليا بعد الانتساب الى جمعية ما.
ه – الخضوع الى قرارات الرابطة.
و – ملازمة الصمت عن كل ما يخص شؤون الرابطة.
ز – ان يقبل بالاجماع في كومونة، كل من لم يعد تتوفر فيه هذه الشروط يطرد من الرابطة (انظر قسم ٨).

بند ٣ – كل الاعضاء متساوون واخوة، وبهذه الصفة عليهم مد يد المساعدة الى بعضهم البعض في كل الظروف.

بند ٤ – يحمل الاعضاء اسماء حركية.

بند ٥ – تتشكل الرابطة من كومونات، حلقات، حلقات مدبرة، لجنة مركزية ومؤتمر.

القسم ٢ – الكومونة

البند ٦ – تتشكل الكومونة من ثلاثة اعضاء على الاقل ومن عشرين عضوا على الاكثر.

البند ٧ – تنتخب كل كومونة رئيسا لها ومساعدا. الرئيس يسيّر الجلسة، والمساعد يتولى شؤون الصندوق وينوب الرئيس في حالة غيابه.

البند ٨ – ان قبول اعضاء جدد يتم بين رئيس الكومونة والعضو المترشح، بمصادقة سابقة من الكومونة.
البند ٩ – لا ينبغي لكومونات مختلفة التعرف على بعضها البعض ولا التراسل فيما بينها.
البند ١٠ – تحمل الكومونات اسماء مميزة.
البند ١١ – على كل عضو يغير عنوانه ان يعلم الرئيس بذلك مسبقا.

القسم ٣ – الدائرة

البند ١٢ – تضم الدائرة كومونتين اثنتين على الاقل وعشر كومونات على الاكثر.
البند ١٣ – يشكل رؤساء الكومونات والمساعدون مع لجنة الدائرة. وتنتخب هذه الاخيرة رئيسا منها، يتراسل مع الكومونات ومع الدائرة المديرة.
البند ١٤ – تمثل لجنة الدائرة السلطة التنفيذية لكل كومونات الدائرة.
البند ١٥ – على الكومونات المعزولة اما ان تلحق بدائرة سابقة او ان تشكل دائرة جديدة مع كومونات اخرى.

القسم ٤ – قيادة الدائرة

البند ١٦ – تخضع مختلف دوائر بلد ما او محافظة ما الى سلطة دائرة مديرة.
البند ١٧ – ان تقسيم دوائر الرابطة الى محافظات وتسمية قيادات للدوائر يقوم بها المؤتمر باقتراح من المجلس المركزي.

البند ١٨ – تشكل قيادة الدائرة السلطة التنفيذية لكل دوائر محافظتها. وتتراسل مع هذه الدوائر ومع المجلس المركزي.

البند ١٩ – تنضم الدوائر الجديدة الى قيادة الدائرة الاقرب اليها.

البند ٢٠ – قيادات ادوائر مسؤولة مؤقتا امام المجلس المركزي وفي النهاية امام المؤتمر.

القسم ٥ – المجلس المركزي

البند ٢١ – المجلس المركزي هو السلطة التنفيذية لكامل الرابطة وبصفته هذه فهو مسؤول امام المؤتمر.

البند ٢٢ – يتشكل المجلس المركزي من خمسة اعضاء على الاقل وينتخب من لجنة دائرة البلد الذي عينه المؤتمر مقرا له.

البند ٢٣ – يتراسل المجلس المركزي مع قيادات الدوائر ويقدم تقريرا عن وضع الرابطة، مرة كل ثلاثة اشهر.

القسم ٦ – ترتيبات عامة

البند ٢٤ – تجتمع الكومونات ولجان الدوائر وكذلك المجلس المركزي مرة على الاقل كل خمسة عشر يوما.

البند ٢٥ – ينتخب اعضاء قيادة الدائرة واعضاء المجلس المركزي لمدة سنة، يمكن اعادة انتخابهم وهم قابلون للعزل في كل لحظة من قبل ناخبيهم [١].

البند ٢٦ – تقع الانتخابات في شهر سبتمبر.

١- اما اليوم فقد انقلبت الآية، فاعضاء اللجنة المركزية و م.س. في الاحزاب الماركسية اللينينية انصاف ملوك غالبا ما ينصبون انفسهم لعشرات السنين او على مدى الحياة... وهم الذين يتمتعون بحق عزل «منتخبيهم» وليس العكس... تحيا المركزية الديموقراطية!

البند ٢٧ – على قيادات الدوائر ان تسيّر مناقشات الكومونات طبقا لهدف الرابطة.

اذا اعتبر المجلس المركزي ان مناقشة بعض المسائل لها مصلحة عامة فورية عليه ان يدعو كل الرابطة الى مناقشة هذه المسائل.

البند ٢٨ – على كل عضو في الرابطة ان يتراسل على الاقل مرة كل ثلاثة اشهر وعلى كل كومونة ان تتراسل على الاقل مرة في الشهر، مع قيادة دائرتهم.

وعلى كل دائرة ان ترسل على الاقل مرة كل شهرين تقريرا الى قيادة الدائرة، وعلى كل قيادة دائرة ان تقدم على الاقل مرة كل ثلاثة اشهر تقريرا عن دائرتها الى المجلس المركزي.

البند ٢٩ – على كل مركز من مراكز الرابطة ان يتخذ، في حدود القانون الاساسي وتحت مسؤوليته الخاصة، التدابير التي يتطلبها امن الرابطة وفعالية عملها النشيط، كما عليها ان تعلم بذلك المركز الاعلى دون تأخير.

القسم ٧ – المؤتمر

البند ٣٠ – يمثل المؤتمر السلطة التشريعية لعموم الرابطة. ترسل قيادات الدوائر جميع الاقتراحات المتعلقة بتغيير القانون الاساسي الى المجلس المركزي الذي يقدمها الى المؤتمر.

البند ٣١ – ترسل كل دائرة مندوبا الى المؤتمر.

البند ٣٢ – كل دائرة ترسل مندوبا عن ٣٠ عضوا، مندوبين اثنين عن ٦٠، ثلاثة مندوبين عن ٩٠ عضوا، الخ. يمكن للدوائر ان تتمثل بواسطة اعضاء من الرابطة لا ينتسبون الى مقرها. في هذه الحالة، عليهم ان يبعثوا الى نائبهم بانتداب تفصيلي.

البند ٣٣ – يجتمع المؤتمر في شهر اغسطس من كل سنة. وفي حالة التأكد يدعو المجلس المركزي الى مؤتمر استثنائي.
البند ٣٤ – يعين المؤتمر مقر المجلس المركزي خلال السنة التالية، كما يعين مكان انعقاد المؤتمر اللاحق.
البند ٣٥ – للمجلس المركزي حق الحضور في المؤتمر، لكن ليس له صوت حاسم.
البند ٣٦ – بعد كل دورة يصدر المؤتمر، علاوة على منشوره العادي، بيانا باسم الحزب.

القسم ٨ – مخالفات انظمة الرابطة

البند ٣٧ – ان كل من يخالف الشروط المفروضة على الاعضاء (بند ٢) تعلق عضويته او يطرد حسب الظروف.
الطرد نهائي ولا يسمح بالرجوع الى الرابطة.
البند ٣٨ – وحده المؤتمر يبت في الاستقالات.
البند ٣٩ – بامكان الدائرة او الكومونة ان تعلق عضوية الاعضاء على شرط ان تعلم السلطة الاعلى مباشرة بذلك. بهذا الصدد كذلك، المؤتمر هو الذي يقرر في النهاية.
البند ٤٠ – المجلس المركزي هو الذي يبت في رجوع اعضاء قد علقت عضويتهم، باقتراح من الدائرة.
البند ٤١ – ان المخالفات المرتكبة ضد الرابطة تحاكم من طرف قيادة الدائرة التي تتكفل بتنفيذ الحكم.
البند ٤٢ – ان الاشخاص الذين علقت عضويتهم او المطرودين وكذلك الافراد المشبوهين بصفة عامة يجب مراقبتهم من الرابطة ووضعهم في حالة تقي الرابطة من شرهم.

القسم ٩ – الموارد المالية

البند ٤٣ – يحدد المؤتمر لكل بلد حدا ادنى لاشتراك كل عضو.

البند ٤٤ – يقسم مبلغ المشاركة نصفين: نصف للمجلس المركزي ونصف لصندوق الدائرة او الكومونة.

البند ٤٥ – تستعمل اموال المجلس المركزي:

١ – لتغطية نفقات المراسلة والادارة.

٢ – لطبع وتوزيع كراريس دعائية.

٣ – لارسال مبعوثين منها اذا اقتضت الحاجة.

البند ٤٦ – تستعمل اموال القيادات المحلية:

١ – لتغطية نفقات المراسلات.

٢ – لطبع وتوزيع كراريس دعائية.

٣ – لارسال مبعوثين منها اذا اقتضت الحاجة.

البند ٤٧ - يعلم المجلس المركزي الكومونات والدوائر التي لا تسدد مبالغ اشتراكاتها طيلة ستة اشهر بتعليق عضويتها من الرابطة.

البند ٤٨ – على قيادات الدوائر ان تقدم لكوموناتها تقارير مالية عن الدخل والنفقات، وذلك كل ثلاثة اشهر على الاقل. وتقدم المجلس المركزي للمؤتمر تقريرا حول ادارة اموال الرابطة وعن وضعها المالي. تعاقب كل خيانة لاموال الرابطة اشد عقاب.

البند ٤٩ – تغطى النفقات غير العادية وتكاليف المؤتمر بمساهمات استثنائية.

القسم ١٠ – القبول

البند ٥٠ – يقرأ رئيس الكومونة على العضو المترشح البنود من ١ الى ٤٩ ويشرحها ويلح خاصة، في كلمة وجيزة، على الالتزامات التي يفرضها دخول الرابطة، ثم يطرح عليه هذا السؤال: «هل تريد، في هذه الحالة، الدخول الى الرابطة؟». اذا اجاب المترشح ب

«نعم!»، يطلب الرئيس منه كلمة شرف بانه سيقوم بالتزاماته كعضو في الرابطة، ويعلنه عضوا في الرابطة، ويدخله الكومونة في الجلسة اللاحقة.

لندن، ٨ ديسمبر ١٨٤٧

باسم المؤتمر الثاني لخريف ١٨٤٧

السكرتير: **الرئيس:**

انجلز **شارل شابر**

حول البيان الشيوعي [١]

إلقِ نظرة على التعاليم واعتقد انه من الافضل التخلي عن تسميته بالتعاليم بدلا من ذلك **بالبيان الشيوعي**. نظرا الى انه يحب ان نقدم فيه لمحة تاريخية، فان الشكل الراهن غير لائق ابدا. سأرسل لك المشروع الذي اعددته هنا. انه سردي فقط وصياغته رديئة جدا، ومكتوب بسرعة جنونية. اني استهل المشروع كالتالي: «ما هي الشيوعية»، وانتقل بعد ذلك فورا الى البروليتاريا: تكونها التاريخي، اختلافها عن عمال الماضي، تطور التناحر بين البورجوازية والبروليتاريا، الازمات ونتائجها (...).

الصرامة التجارية في جميع الاشتراكات [٢]

تسير احوال الرابطة في باريس سيرا سيئا. لم ار ابدا مثل هذا

١- انجلز الى ماركس ٢٦ نوفمبر ١٨٤٧.

٢- انجلز الى ماركس، ١٤ يناير ١٨٤٧.

الاهمال السائد فيها ولا رأيت ابدا أحقر من الغيرة التي يحملها بعضهم لبعض. ان نظريات فايلينج و برودون هي حقا التعبير الاكثر صدقا عن شروط حياة هؤلاء الحمير. ولهذا عجزنا عن تحقيق اي تقدم. في الواقع ليس هؤلاء العمال الا عمال حقبة منقرضة، بعضهم ليسوا الا عمالا هرموا ونوعيتهم صائرة الى الانقراض والبعض الآخر ليسوا الا بورجوازيين صغارا بآمالهم وتطلعاتهم [١]. في الحقيقة، ان طبقة تعيش، على غرار الارلنديين، على حساب تخفيض اجور العمال الفرنسيين هي طبقة لا خير فيها اصلا [٢]. وسأقوم بمحاولة اخيرة، فاذا باءت **بالفشل، فانني سأنسحب من ممارسة هذا النوع من الدعاية.**

اتمنى ان لا تتأخر اوراق (البيان الشيوعي) لندن، وان تعطي شيئا من الحياة لهذا الوضع (...) لقد اتصلت بعمال جدد (...) لكن لا استطيع ان اقول لك الان ما اذا كان سيخرج منهم شيء مفيد.

قل لبرنشتات: ١ – عليه ان لا يبرهن على صرامة تجارية في حمل العمال هنا على دفع اشتراكاتهم، والا فانه سيخسرهم جميعا (...) .

١- يفسر انجلز هنا فشل مجهوداته التحريضية في الرابطة بعدم نضج الشروط الفعلية الاقتصادية التي على ارضيتها يكون التنظيم البروليتاري، وبأن العمال اعضاء الرابطة لك يكونوا عمالا مأجورين بالمعنى الحديث للكلمة.

٢- يمكن، بين اسباب اخرى طبعا، تفسير سوء التفاهم الموجود بين قطاع واسع من العمال المهاجرين في اوربا والبروليتاريا الاوربية بهذا السبب: العمال المهاجرون يقبلون بالاجر المعروض بدون مساومة. وخوفا من «السياسة» التي اكتووا بنارها في بلدانهم الاستبدادية وخاصة خوفا من الطرد من العمل والابعاد البوليسي من البلد «المضيف» يرفضون غالبا المشاركة في الاضرابات واحيانا تستخدمهم البورجوازية لكسر اضرابات البروليتاريا الاوربية. وكذلك كان العمال الارلنديون والالمان في فرنسا ١٨٤٨ يتقاضون اجورا بخسة ويضرون بالبروليتاريا الفرنسية!

تأسيس جمعيتين ديموقراطيتين (١)

لقد اسسنا جمعيتين ديموقراطيتين علنيتين في بروكسل.

١ – جمعية للعمال الالمان تضم منذ الان نحو مائة عضو. اننا نتناقش فيها بطريقة برلمانية تماما، زيادة على اننا نتعاطى فيها الالعاب الجماعية: الاغاني، الاناشيد، المسرح الخ.

٢ – جمعية اخرى اقل عددا، كوسموبوليتية (أممية) وديموقراطية، يشارك فيها فرنسيون، بلجيكيون، بولانديون، سويسريون والمان.

تدخل ماركس في جلسة الجمعية الالمانية لتكوين العمال ٧ ديسمبر بلندن (٢)

ماركس: بخصوص بلجيكا اريد ان احيطكم علما باننا شكلنا جمعية عمالية تضم حاليا ١٠٥ اعضاء. لقد اصبح العمال الالمان في بروكسل، الذين كانوا قبل اليوم معزولين، يمثلون قوة: لقد كانوا في الماضي مجهولين تماما، اما الان فقد طلب منهم ان يرسلوا مندوبا لحضور ذكرى الثورة البولاندية التي ستقام في مدينة بروكسل،

١- من ماركس الى الشاعر هيرفيجه، ٢٦ اكتوبر ١٨٤٧.

٢- تأسست هذه الجمعية في خريف ١٨٤٧. وكانت تضم ثوريين بروليتاريين وديموقراطيين بورجوازيين، وبورجوازيين صغار. اسهم ماركس وانجلز بنشاط فب انشائها. وانتخب ماركس في ١٥ نوفمبر ١٨٤٧ نائبا للرئيس فيها. ولعبت الجمعية بتأثير ماركس دورا اساسيا في الحركة الديموقراطية. وبذل الجناح البروليتاري للجمعية، ومعظمه من الالمان، اثناء ثورة فبراير البلجيكية كل جهد لتسليح العمال. وبعد ابعاد ماركس عن بروكسل، واجهت السلطات العناصر الثورية في الجمعية بحملة قمع وبذلك تراجع نشاط الجمعية ثم اختفت نهائيا في اوائل ١٨٤٩.

لعرض وجهة نظر الجمعية.

اذا حاولت الحكومة اضطهاد او حتى منع الجمعية لانها ستمارس في جميع المناسبات تأثيرا على العمال البلجيكيين، فقد اتفق على ان توصي الجمعية بمكتبتها التي تضم ٣٠٠ كتاب وبممتلكاتها الاخرى لجمعية لندن.

الحزب والثورة

مهمتنا كممثلين للحزب البروليتاري نستمدها من انفسنا ومن انفسنا فقط وقد اكدها وصادق عليها الحقد الخاص والعام الذي تكنه لنا جميع فرق العالم القديم وجميع احزابه.

ماركس الى انجلز (١٨-٥-١٨٥٩)

سيلاحظ المر انني، في جميع هذه الكتابات وخاصة الاخيرة، لم اصف نفسي ابدا باشتراكي ديموقراطي وانما بشيوعي ... لقد كان من المستحيل بالنسبة لنا، ماركس وانا نفسي، ان نستعمل تعبيرا كهذا مطاطا للغاية لتحديد تصورنا الخاص.

الامر مختلف اليوم، ويمكن عند الضرورة استخدام هذه الكلمة، رغم انها لا تناسب اليوم ايضا حزبا يكون برنامجه الاقتصادي لا اشتراكيا وحسب بل **مباشرة** شيوعيا، اي حزبا هدفه النهائي القضاء على كل دولة وبالتالي على الديموقراطية.

انجلز ١٨٩٤

رصيد الادمغة الذي افادت منه البروليتاريا قبل ١٨٤٨، قياسا الى الطبقات الاخرى، يبدو انه قد نضب تماما وفي جميع البلدان بعد هذا التاريخ. واذن فقد بات لزاما على العمال انفسهم ان يأخذوا قضاياهم بين ايديهم.

من انجلز الى ماركس (١١-٢-١٨٧٠)

خطاب ماركس حول الحزب الشارتي المانيا وبولانده [1]

خطاب ماركس حول الحزب الشارتي، المانيا وبولانده [1]

اتحاد وتآخي جميع الامم شعار نجده على شفاه جميع الاحزاب، وخاصة احزاب انصار التبادل الحر البورجوازيين. وفعلا فهناك تآخ ما بين الطبقات البورجوازية من جميع الامم. انه تآخي الظالمين ضد المظلومين. تآخي المستغِلين ضد المستغَلين. مثلما ان طبقة البورجوازيين في بلد تتآخى وتتحد ضد البروليتاريين في نفس البلد، رغم التنافس والمزاحمة القائمين بين افراد الطبقة البورجوازية، فكذلك يتآخى بورجوازيو جميع الامم ويتحدون ضد بروليتاريي جميع الامم، رغم صراعهم المتبادل وتنافسهم على السوق العالمية.

من اجل ان تتمكن الشعوب من الوحدة حقا، يجب ان تكون مصالحها مشتركة. ولكي تكون هذه المصالح مشتركة، فلا بد من الغاء علاقات الملكية الراهنة، هذه العلاقات التي تحدد استغلال الشعوب بعضها لبعض. واذن فالطبقة العاملة هي الوحيدة التي لها مصلحة في الغاء شروط الملكية الراهنة، كما انها هي وحدها التي تملك وسائل تحقيق ذلك.

١- خطاب القاه ماركس بالفرنسية في **عيد الامم** احياه لذكرى الانتفاضة البولاندية في ١٨٣٠. وقد نشرته الجريدة الالمانية البروسية في ٩ ديسمبر سنه ١٨٤٧.

سيكون انتصار البروليتاريا على البورجوازية في نفس الوقت انتصارا على النزاعات بين الامم وعلى الاقتصاد الذي يدفع كل شعب لمنازعة الشعب الآخر. وهكذا سيكون انتصار البروليتاريا بشير التحرر لجميع الشعوب المظلومة [١].

لا شك ان بولانده العهد البائد قد اندثرت ونحن آخر من يفكر في اعادتها. لكن ليست بولانده العتيقة وحدها هي التي اندثرت، بل كذلك اندثرت المانيا القديمة وانجلترا القديمة والمجتمع القديم كله. لكن اندثار المجتمع القديم ليس خسارة بالنسبة لنا نحن، الذين ليس لنا ما نخسره في المجتمع القديم، ولا بالنسبة للغالبية العظمى من السكان. بل بالعكس سنكسب كل شيء من اندثار المجتمع القديم هذا الاندثار الذي هو شرط تشكل مجتمع لا يقوم على الصراع الطبقي.

ان التناحر بين البروليتاريا والبورجوازية في انجلترا اكثر تطورا منه في جميع البلدان الاخرى. ولهذا السبب سيكون انتصار البروليتاريا الانجليزية على البورجوازية الانجليزية حاسما لتحقيق انتصار جميع المظلومين ضد ظالميهم [٢]. ولهذا فبولانده لن تتحرر في بولانده بل في انجلترا. وعليه فلا ينبغي لكم انتم الشارتيين ان تكتفوا بالتعبير عن امانيكم الطيبة بتحرير الامم: بل اطيحوا بعدوكم (البورجوازية الانجليزية) داخل انجلترا نفسها، ويومئذ يحق لكم

١- لعل كلمات ماركس هذه تكتسي اليوم – في عصر الامبريالية والاستعمار الجديد حيث البورجوازيات والبيروقراطيات الحاكمة في البلدان الصغيرة او الكبيرة المتخلفة ليست مستقلة الا عن شعوبها وخاضعة لهذه او تلك من البورجوازيات والبيروقراطيات الكبرى او لها جميعها – راهنية لا مثيل لها. وهكذا فالتحرر الوطني بدون القضاء على الطبقات الرأسمالية يظل مجرد شعار بورجوازي فارغ.

٢- يصدق هذا اليوم على الولايات المتحدة حيث سيكون انتصار الثورة الاشتراكية فيها اشارة انتصارها على مستوى العالم.

ان تفتخروا بأنكم هزمتم المجتمع القديم كله [١].

١- «الشعارات التي اقترحها ماركس في خطابه هذا على الثوريين الامميين تبرهن على ادراكه العميق لعلاقة الاضطهاد الطبقي الحميمة بالاضطهاد القومي. انها رؤية مكتملة للامبريالية (...). فمن الخطأ اذن الزعم بان لينين اعد نظرية جديدة (غير معروفة في الماركسية السابقة عنه) عن الامبريالية (...).

اذا كانت الماركسية قد رأت النور في المانيا، فذلك – كما كرر ذلك ماركس وانجلز مرارا – لان هذا البلد كان يوحي بوضوح لا مزيد عليه بجميع عناصر النظرية العامة للبروليتاريا. لقد كانت المانيا ١٨٤٠ فسيفساء من جميع اشكال المجتمع وانماط الانتاج التي تعاقبت على مسرح التاريخ. ذلك ان اية ثورة فيها لم تكن قد كنست من المسرح الاجتماعي الالماني مخلفات وبقايا طبقات وانماط انتاج الماضي. فالى جميع الفئات والطبقات المتساندة لاضطهاد الجماهير الكادحة كانت قد انضافت، من زمن ليس بالبعيد، العوامل القومية للاضطهاد، لقد كانت المانيا خاضعة للهيمنة التجارية الانجليزية، للاحتلال الاجنبي، للتمزق القومي وللنفوذ الروسي والفرنسي، بينما كانت هي نفسها تضطهد بولانده بواسطة كل من بروسيا والنمسا.

لم تكن الماركسية الا تسجيل ماركس – انجلز للشروط التاريخية والاجتماعية الفعلية للصراع الطبقي الحي حيثما كانت ملحوظة بقوة، اذن كانت اكثر حدة وشمولا في وقت معا».

ملاحظة الناشر الفرنسي

وضعنا العربي مع حفظ جميع الفوارق هو وضع المانيا. وليس اذن عجيبا – حتى لو اثار ذلك عجب القوميين العرب – ان نرفع في العالم العربي المتخلف والممزق قوميا والخاضع للاحتلال والامبريالية، على غرار ما رفع ماركس وانجلز في المانيا المتخلفة، الممزقة والخاضعة، لواء الاممية البروليتارية في وجه العفش القومي والشوفينية العفنة.

خطاب انجلز حول بولانده [1]

لقد فشلت الانتفاضة التي نحيي اليوم ذكراها. فبعد ايام من المقاومة البطولية سقطت كراكوفيا Cracovie وشبح بولانده الدامي الذي انتصب للحظات امام اعين مغتاليها عاد الى قبره.

لقد انتهت ثورة كراكوفيا بهزيمة محزنة. فلنحيي ذكرى الابطال الذين سقطوا، ولنأسف على فشلهم، ولنعبر عن تعاطفنا مع ٢٠ مليون بولاندي زاد هذا الفشل من قسوة اغلالهم.

لكن هل هذا، ايها السادة، كل ما علينا ان نفعله؟ هل يكفي ان نريق دمعة على قبر بلد منكوب وان نكن لظالميه حقدا مكينا ما زال حتى الآن عاجزا؟

١- خطاب القي احياء لذكرى انتفاضة كراكوفيا في فبراير ١٨٤٦ في الاجتماع الذي نظمته جمعية بروكسل الديموقراطية في ٢٢ فبراير ١٨٤٦. والجدير بالذكر هو ان بولانده كانت تستقطب اهتمام البروليتاريا الثورية وماركس – انجلز لانها كانت معقل نضال ضد روسيا القيصرية التي كانت قلعة الثورة المضادة في اوربا القرن التاسع عشر، على غرار السعودية التي اصبحت اليوم، بفضل البورجوازية الاميركية، طليعة الثورة المضادة في الخليج النائم على بحر من النفط!

كلا! ان ذكرى كراكوفيا ليست يوم حداد وكفى، بل هي بالنسبة لنا نحن الديموقراطيين يوم ابتهاج. لان الهزيمة نفسها تنطوي على انتصار، انتصار ستظل أثماره مكسبا لنا، بينما ليست نتائج الهزيمة الا نتائج عابرة.

هذا الانتصار هو انتصار بولانده الفتية الديموقراطية على بولانده العجوز الارستوقراطية.

اي نعم، ان الصراع الاخير الذي خاضته بولانده ضد ظالميها الاجانب سبقه صراع مستتر، خفي، لكنه **صراع حاسم في صلب بولانده نفسها، هو صراع البولانديين المظلومين** ضد البولانديين الظالمين، انه صراع الديموقراطية ضد الارستوقراطية البولاندية.

قارنوا بين ١٨٣٠ و ١٨٤٦، قارنوا بين وارسو و كراكوفيا. في ١٨٣٠ كانت الطبقة السائدة في بولانده انانية، غبية وجبانة في الهيئة التشريعية بقدر ما كانت مخلصة، متحمسة وشجاعة في ساحة الوغى.

كاذا كانت الارستوقراطية البولندية تريد في ١٨٣٠؟ انقاذ حقوقها المكتسبة ازاء الامبراطور. لقد قصرت الانتفاضة على هذا البلد الصغير الذي شاء مؤتمر فينا ان يسميه مملكة بولانده، وكبتت سورة اندفاع الاقاليم البولاندية الاخرى، لقد تركت قنانة الفلاحين الوحشية وشروط حياة اليهود البشعة على حالها دون تغيير. اذا كانت الارستوقراطية قد اضطرت، خلال الانتفاضة، لتقديم بعض التنازلات للشعب، فانها لم تقدمها الا بعد فوات الاوان، عندما كانت الانتفاضة قد هزمت.

بكل صراحة، لم تكن انتفاضة ١٨٣٠ لا ثورة وطنية (اذ انها استبعدت ثلاثة ارباع بولانده) ولا ثورية اجتماعية او سياسية، انها لم تغير شيئا من اوضاع الشعب القديمة: لقد كانت ثورة محافِظة [١].

لكن في صلب هذه الثورة المحافظة، في صلب الحكومة الوطنية نفسها كان هناك رجل يهاجم بشدة قصر نظر الطبقة السائدة. لقد اقترح تدابير ثورية حقا، تراجع امام جرأتها ارستقراطيو البرلمان. لقد اراد، بدعوته كل بولانده القديمة الى حمل السلاح، بتحويله على هذا النحو الحرب في سبيل استقلال بولانده الى حرب اوربية، وبتحريره اليهود والفلاحين، وباشراكه هؤلاء الاخيرين في ملكية الارض وباعادته بناء بولانده على اساس الديموقراطية والمساواة، اراد ان يجعل من القضة القومية قضية الحرية وان يطابق مصلحة جميع الشعوب مع مصلحة الشعب البولاندي. الرجل الذي لمح بعبقريته هذا المخطط العظيم والبسيط مع ذلك، هل احتاج الى تسميته؟ انه لولوفيل Le Lewel.

لقد كان مصير هذه المقترحات في ١٨٣٠ هو الرفض المتكرر بسبب الانانية العمياء للاغلبية الارستوقراطية. لكن هذه المبادئ نفسها رأيناها مكتوبة على راية انتفاضة كراكوفيا في ١٨٤٦. لقد كان واضحا جدا انه لم يكن هناك في انتفاضة كراكوفيا، عكس ما

١- لم ينس انجلز ابدا ان يأخذ بعين الاعتبار مواقف الطبقات بعضها حيال بعض في صلب امة واحدة لتحديد حظوظ انتصار اي انتفاضة: «ارتكب البيمونيون (سكان شمال غرب ايطاليا) مثلما ارتكب قبلهم الاسبان والالمان – خطأ فادحا بمواجهتهم للنمساويين بجيش نظامي فقط، اي برغبتهم في ان يقوموا ضدهم بحرب بورجوازية شريفة وتقليدية. ان شعبا يريد الحصول على استقلاله لا ينبغي له ان يكتفي بوسائل الحرب التقليدية. بل ان الانتفاضات الجماهيرية، الحرب الثورية، حرب العصابات هي الوسائل التي يملكها شعب صغير للتغلب على امة كبرى، انها الوسائل الوحيدة التي تمكن جيشا اقل قوة من الصمود في وجه جيش اكثر قوة وافضل تنظيما» («هزيمة البيمونيين» ١-٤-١٨٤٩).

كان في انتفاضة ١٨٣٠، اناس لهم الكثير مما يخسرونه بالثورة، لم يعد للارستوقراطيين اثر فيها، وجميع القرارات التي اتخذتها كانت تحمل بصمات هذه الجرأة الديموقراطية، بل اكاد اقول البروليتارية التي لم يكن لها ما تخسره الا بؤسها وكان امامها جزء بكامله، بل عالم بكامله لتكسبه. هنا لا مكان للتذبذب او الحيرة. لقد هاجمت الثورة القوى الثلاث في نفس الوقت [١]. لقد نادت بحرية الفلاحين، بالاصلاح الزراعي، بتحرير اليهود دون ان تهتم لحظة بما اذا كانت هذه الشعارات ستغضب هذه المصلحة او تلك من مصالح الارستوقراطية.

لم تحدد ثورة كراكوفيا كهدف لها اعادة بولانده القديمة، ولا الحفاظ على ما ابقت عليه الحكومات الاجنبية من المؤسسات البولاندية القديمة: انها لم تكن محافظة كما لم تكن رجعية. كلا، لقد كانت اكثر عداء لبولانده نفسها، بولانده الهمجية، الاقطاعية، الارستوقراطية، القائمة على استرقاق اغلبية الشعب. لقد كانت ابعد ما تكون عن ارادة بعث بولانده القديمة هذه، بل كانت تريد ان تطيح بها من الباب الى المحراب، وان تشيد على انقاضها، بفضل طبقة جديدة كل الجدة، بفضل جمهور الشعب، بولانده جديدة، حديثة، متمدنة، ديموقراطية وجديرة بالقرن التاسع عشر، والتي كانت، في الواقع خفير الحضارة الامامي [٢].

الفارق بين بولانده ١٨٣٠ وبولانده ١٨٤٦، التقدم الهائل الذي تحقق في صلب بولانده نفسها، بولانده المنكوبة، الدامية الممزقة هو: كون الارستوقراطية البولاندية انفصلت كليا عن الشعب البولاندي

١- روسيا، بروسيا والنمسا.

٢- خفير للحضارة الاوربية الليبرالية «في وجه روسيا الهمجية ونصف الأسيوية» (لينين).

وارتمت في احضان ظالمي وطنها، كون الشعب البولاندي قد انحاز نهائيا لقضية الديموقراطية، واخيرا كون الصراع بين الطبقات، هذه العلة المتحركة لكل تقدم اجتماعي، ثبّت قدميه في بولانده كما ثبت قدميه هنا. هذا هو انتصار الديموقراطية الذي شهدته ثورة كراكوفيا وهذه هي النتيجة التي ستعطي ثمارها عندما يؤخذ بثأر الثائرين.

نعم، ايها السادة، بفضل انتفاضة كراكوفيا كانت قضية بولانده قضية قومية فأصبحت قضية كل الشعوب، وكانت قضية تعاطف فاصبحت قضية مصلحة بالنسبة لكل الديموقراطيين. كان علينا حتى ١٨٤٦ ان نثأر من جريمة اما منذ اليوم فعلينا ان ندعم حلفاء وسنفعل.

على المانيا بشكل خاص ان تبتهج لانفجار المشاعر الديموقراطية في بولانده. فنحن انفسنا على ابواب ثورة ديموقراطية. وسيكون علينا ان نحارب الحشود البربرية النمسوية والروسية. كانت لدينا قبل ١٨٤٦ بعض الشكوك حول لمن ستنحاز بولانده في حالة قيام ثورة ديموقراطية في المانيا، وهنا قد بددت ثورة كراكوفيا هذه الشكوك. منذ الان اصبح الشعبان الالماني والبولاندي حليفين حلفا لا تنفصم عراه. لنا نفس الاعداء ونفس الظالمين، لان الحكومة الروسية عبء علينا كما هي عبء على البولانديين. الشرط الاول لخلاص المانيا وبولانده هو الاطاحة بالاوضاع السياسية الراهنة في المانيا، سقوط بروسيا والنمسا وطرد روسيا الى ما وراء نهري دنيستر ودفيتا.

ان تحالف الامتين ليس اذن مجرد حلم جميل او مجرد وهم لذيذ، بل هو ضرورة محتومة تتطلبها مصالح الامتين المشتركة، اصبح هذا التحالف بفضل ثورة كراكوفيا ضرورة. فالشعب الالماني الذي لم يقدم لنفسه حتى الان سوى الاقوال سيقدم لاخوانه البولانديين الاعمال. مثلما نمد نحن، الديموقراطيين الالمان الحاضرين هنا،

ايدينا للديموقراطيين البولانديين الحاضرين هنا، فكذلك سيحتفل الشعب الالماني كله بتحالفه مع الشعب البولاندي في ميدان اول معركة مكسوبة لصالحنا جميعا وعلى حساب ظالمينا جميعا.

جمعية الاخوة الديموقراطيين (١)

ان جمعية الاخوة الديموقراطيين، المكونة من ديموقراطيين ينتمون الى جميع الامم الاوربية تقريبا، قد انضمت قبل وقت قصير علنا وبكاملها للتحريض الشارتي. ولقد صادقت على القرار التالي:

«نظرا الى ان الشعب الانجليزي لن يستطيع دعم النضال الديموقراطي في البلدان الاخرى دعما فعليا الا بقدر ما يستطيع هو نفسه الفوز بالحكومة الديموقراطية».

«انه لمن واجب جمعيتنا، التي تكونت لدعم الديموقراطية المناضلة في جميع البلدان، ان تضم جهدها لجهود الديموقراطيين الانجليز للحصول على اصلاح **انتخابي على اساس الميثاق**» (...)

هذه الجمعية، التي تضم بين صفوفها الديموقراطيين المشاهير الانجليز والاجانب المقيمين في لندن، تكتسب يوما فيوما اهمية متزايدة. لقد نمت الى درجة ان ليبراليي لندن رأوا ان عليهم ان

١- كانت هذه الجمعية تضم الثوريين الاوربيين المهاجرين في انجلترا كما تضم الجناح الراديكالي للشرطيين المكون تقريبا من العمال فقط. وما يميز الجناح الراديكالي عن الجناح الشارتي المعتدل هو ان الاول ينادي بضرورة العنف الثوري والثاني ينادي باتباع وسائل ضغط «معنوية» فقط، مثل العرائض والاجتماعات العامة الخ. وهذه الجمعية هي التي نظمت عيد الامم احياء لذكرى الثورة البولاندية. وهذه الفقرات من مقالة لانجلز نشرها بالفرنسية في جريدة «الاصلاح» ٢٢-١١-١٨٤٧.

يواجهوها بـ **الرابطة العالمية البورجوازية** [1] بقيادة برلمانيي التبادل – الحر اللامعين. هدف هذه الرابطة الجديدة التي يقودها بورينج والعقيد تومبسون وآخرون من ابطال حرية التجارة ليس الا نشر الدعاية لصالح التبادل الحر بين الاجانب، تحت ستار الجمل الانسانية والليبرالية. ولكنها لن تدوم طويلا انها لم تصنع شيئا تقريبا منذ عشرة شهور، بينما عارض الاخوة الديموقراطيون جميع الاعمال القمعية مهما كان الذين حاولوا القيام بها (...).

بعض نشاط ماركس التنظيمي من فبراير ١٨٤٨ الى بداية مارس ١٨٤٨

١٣ فبراير: ماركس يساجل في **الجريدة الالمانية البروسية** ضد **الجريدة الراديكالية:** المناظرة الاجتماعية التي هاجمت، بعبارات مقنَّعة، الشيوعية.

اشترك في جلسة مناقشة حول **مؤتمر الديموقراطيين الاممي الاول.**

آخر فبراير: صدور **البيان الشيوعي** في لندن.

من ٢٥ فبراير الى ٤ مارس: اشترك ماركس بنشاط في الاعداد لانتفاضة مسلحة جمهورية في بروكسل وقد سلم مبالغ مالية هامة لتسليح عمال بروكسل [2]. وشارك ايضا في نفس الوقت في اعداد انتفاضة مسلحة بكولونيا بالتعاون مع عناصر دينية

١- اسس هذه الرابطة بلندن في ١٨٤٧ بورجوازيون انجليوز ليبراليون راديكاليون. وانضم اليها المهاجرون الاوربيون من ايطاليين، مجريين، بولانديين. وتوقفت عن كل نشاط في ١٨٤٨.

٢- حسب تقارير بوليس بروكسل انفق ماركس على تسليح العمال ٥٠٠٠ فرنك من اصل ٦٠٠٠ فرنك هي كل ما وصله حينئذ من ميراثه لابيه.

وليبرالية كانت تحاول فصل رينانيا عن بروسيا.

٢٧-٢٨ فبراير: مركس يشترك في اعداد نداءين للجمعية الديموقراطية: احدهما لجمعية الاخوة الديموقراطيين ولجريدة **نورترن ستار** لكي تنشر نشاط الجمعية اثناء احداث الثورة الفرنسية فبراير ١٨٤٨. والنداء الثاني كان تحية موجهة للحكومة الموقتة للجمهورية الفرنسية.

٣ مارس: استلم ماركس دعوة من الحكومة الموقتة للجمهورية الفرنسية للعودة الى فرنسا بعد ان كان نفاه منها وزير الداخلية. وفي نفس اليوم تلقى قرارا بطرده من بلجيكا. وأخذه البوليس مع زوجته واطفاله مخفورا الى الحدود الفرنسية. **علما بان ماركس كان حينئذ خليعا (بدون جنسية) لان سبق ان اعلن في بلجيكا ١٨٤٤ تخليه الطوعي عن الجنسية الالمانية ليصبح امميا.**

من ٦ الى ١٠ مارس: ماركس يخطب يوم ٦ مارس في اجتماع نظمته الجالية الالمانية للحرفيين في باريس معارضا تجنيد المتطوعين الالمان الذي نظمته الجمعية الديموقراطية الالمانية (بقيادة صديقه الشاعر هيرفيجه وبرونشتات) للقيام بثورة في المانيا. ويلتقي مع عدد من الثوريين الالمان ليثير معهم ضرورة التحريض بين العمال الالمان ضد العودة الفورية الى المانيا وللبقاء في باريس بهدف اسهامهم في الانتفاضات البروليتارية الباريسية القادمة.

٨ مارس: ماركس ينشر في جريدة **الاصلاح** رسالة مفتوحة حول ابعاده من بلجيكا وحول وحشية المعاملة البوليسية لزوجته. ويشارك، كسكرتير، في اجتماع مشترك تعقده اربعة فروع باريسية لرابطة الشيوعيين لبحث تكوين ناد للعمال الالمان لمعارضة الجمعية الديموقراطية الالمانية.

٩ مارس: يقرأ ماركس على الاجتماع المشترك للفروع الباريسية الاربعة للرابطة مشروع القانون الاساسي لنادي العمال الالمان الذي تميز بأنه، بعكس القانون الاساسي للجمعية الديموقراطية المتشبعة بالروح البلانكية، ليس تآمريا، ويدعو العمال الى النشاط الثوري العلني. وقد اقترح ان يحمل كل عضو بالرابطة شارة حمراء.

موقف الحزب العمالي من الثورة الديموقراطية [١]

يعرف العمال جيدا ان البورجوازية ستكون مضطرة لا لتقدم لهم اوسع التنازلات اكثر من الملكية المطلقة وحسب، بل انها، خدمة لتجارتها وصناعتها، ستخلق بالرغم منها الشروط الملائمة لوحدة الطبقة العاملة. ووحدة العمال هي الشرط الاول لانتصارهم. ويدرك العمال ان القضاء على الشروط البورجوازية للملكية لا يمكن تحقيقه بالحفاظ على نظام الملكية الاقطاعي. ويدركون ان الحركة الثورية البورجوازية ضد الارستقراطية الاقطاعية والملكية المطلقة من شأنها ان تسرّع وتنشط حركتهم الثورية. ويدركون اخيرا ان صراعهم الخاص ضد البورجوازية لن ينفجر الا بعد ان تكون البورجوازية قد انتصرت... فعلى العمال ان يقبلوا الثورة البورجوازية كشرط للثورة العمالية. لكنهم لا يمكن ان يعتبروها ولو لحظة واحدة هدفا نهائيا لهم.

نمو البروليتاريا الصناعية يتطلب شرطا عاما هو نمو البورجوازية الصناعية. تحت سيطرة البورجوازية وتحت سيطرتها فقط يأخذ وجود البروليتاريا مداه القومي الذي يمكنها من الارتفاع

١- ماركس، النقد الاخلاقي ١٨٤٧.

بثورتها لمستوى ثورة قومية [١]. عندئذ، وعندئذ فقط توجد البروليتاريا بنفسها وسائل الانتاج التي تصبح بنفس القدر وسائل **تحررها الذاتي** الثوري. ان سيطرة البورجوازية الصناعية هي التي تجتث الجذور المادية للمجتمع الاقطاعي وتمهد الارضية الوحيدة التي تصبح عليها ثورة بروليتارية ممكنة.

الديموقراطية الاجتماعية [٢]

الديموقراطية التي تتجه نحوها انجلترا هي الديموقراطية الاجتماعية. لان الديموقراطية (البورجوازية) عاجزة عن معالجة الادواء الاجتماعية. فالمساواة الديموقراطية وهم، **وصراع الفقراء ضد الاغنياء اذن لا يمكن ان يقاد حتى نهايته القصوى على ارضية الديموقراطية او السياسة بشكل أعم**. فالمرحلة الديموقراطية ليست اذن الا مرحلة انتقالية، انها الوسيلة الاخيرة السياسية الخالصة التي يمكن استخدامها، لانه بعد ذلك فورا، يجب تطوير عنصر جديد، ومبدأ جديد يتجاوز كل عنصر سياسي: «مبدأ الاشتراكية».

الدفاع الوطني [٣]

تلقينا رسالتكم (...) وفورا ناقشنا باهتمام اقتراحكم الخاص بعقد

١- ثورة قومية اي ثورة اشتراكية تشمل كل البلاد.

٢- انجلز ، **الوضع في انجلترا**، ١٨٤٤.

٣- نورترن ستار ٤ مارس ١٨٤٨. رسالة من جمعية بروكسل الديموقراطية الى الاخوة الديموقراطيين المجتمعين في لندن.

مؤتمر ديموقراطي يضم جميع الامم وبتبادل شهري للرسائل بين جمعيتكم وجمعيتنا.

اقترحتم علينا عقد المؤتمر الديموقراطي الاول هنا في بروكسل وعقد الثاني في لندن. كما اقترحتم تنظيم المؤتمر الاول من قبل جمعيتنا بمناسبة ذكرى الثورة البلجيكية في سبتمبر القادم، واضطلاع لجنة جمعيتنا باعداد برنامجه: لقد قبلت جميع هذه المقترحات بالاجماع وبحماس كبير. وبنفس الحماس قبلنا اقتراحكم لتبادل المراسلة شهريا (...).

وضع جمعيتنا على خير ما يرام. عدد منخرطينا يتزايد من اسبوع الى آخر وبنفس الدرجة يتزايد اشتراك الجمهور بصورة عامة والطبقة العاملة بصورة خاصة في نشاطنا.

بيد ان افضل برهان على قولنا هو الاهتمام الذي أثارته حركتنا في محافظات هذا البلد. لقد طلبت منا اهم مدن بلجيكا الصناعية ان نرسل لها مندوبينا لاقامة جمعيات ديموقراطية فيها مماثلة لجمعيتنا ولربط علاقات دائمة مع جمعية العاصمة [١].

لقد اعطينا كل اهتمامنا لهذه النداءات. ارسلنا وفدا الى جاند لعقد اجتماع عام فيها بهدف انشاء فرع محلي. لقد جذب هذا الاجتماع عددا عظيما من الناس. واستقبل وفدنا المكون من مندوبين ينتمون لقوميات شتى بحماس يجل عن الوصف.وفورا اتخذ قرار بإنشاء جمعية ديموقراطية وسجلت اسماء اعضائها في قائمة. وبعد ذلك تلقينا من جاند نبأ تشكيل هذه الجمعية نهائيا وعقد اجتماع ثان كان عدد المشاركين فيه وحماسهم اعظم من المرة السابقة. فقد حضره

١- هذا هو التنظيم الديموقراطي القائم على التنسيق بين فروع تنظيم ثوري واحد او تنظيمات ثورية عديدة لا التنظيم البيروقراطي القائم على المركزية، حيث المركز، العاصمة، على غرار الدولة البورجوازية المركزية، هو مكان المبادرة.

اكثر من ٣ آلاف مواطن ونجد لذة خاصة في القول بأن معظمهم كانوا من العمال.

نعتبر التقدم الذي تحقق في جاند كأعظم نجاح لقضيتنا في هذه البلاد. جاند هي اكبر مدينة صناعية في بلجيكا يفوق عدد سكانها ١٠٠ الف. انها الى حد بعيد مركز جذب لجميع السكان الكادحين من الفلاندريين. وهكذا فالموقع الذي تحتله جاند حاسم بالنسبة للحركة العمالية في البلاد. وهذا ما يسمح لنا بالاعتقاد بان مشاركة عمال مصانع هذا المانشستر البلجيكي في تجديد الحركة الديموقراطية الخالصة يمكن اعتباره علامة على انضمام مجموع البروليتاريين البلجيكيين لقضيتنا.

فآمل ان نتمكن في رسالتنا القادمة من احاطتكم علما بالتقدم اللاحق الذي قد نحققه في مدن اخرى لكي **نصل تدريجيا الى تشكيل حزب ديموقراطي قوي، متحد ومنظم في بلجيكا.**

اننا نشاطركم كليا المواثق التي دافعتم عنها في ندائكم الاخير للطبقة العاملة ببريطانيا وايرلندا حول مسألة **«الدفاع الوطني»** [١].

ونتمنى ان يسهم هذا النداء اسهاما واسعا في تنوير الشعب الانجليزي لمعرفة اعدائه الحقيقيين [٢].

لقد تتبعنا ايضا بعظيم السرور مساعيكم لدى جماهير الشارتيين

١- نشرت جريدة نورترن ستار في ١٨-١١-١٨٤٨ «نداء الى عمال بريطانيا وارلانده»، وجهته جمعية الاخوة الديموقراطيين لفضح مناورات الطبقة الحاكمة في انجلترا التي زعمت بأن فرنسا كانت تريد الهجوم على السواحل الانجليزية (ولم تكن تهدف من وراء هذه المحاولة، كجميع الطبقات السائدة، الا لصرف الجماهير الكادحة، بدعاية قومية شوفينية، عن مشاكلها الفعلية التي تأخذ بخناقها يوميا، وصرفها بالتالي عن الصراع الطبقي الكفيل وحده بحلها). وقد دعا النداء جميع العمال لمقاومة جميع «المتآمرين الذين يؤججون بأكاذيبهم حقد شعب على شعب آخر ليزرعوا الاعتقاد بان ناس مختلف البلدان هم بطبيعة الحال اعداء لبعضهم بعضا».

٢- الذين هم داخل حدوده.

الانجليز بهدف عقد حلف مكين بين الشعب الارلندي والشعب البريطاني. اننا مقتنعون بان لديكم الان اكثر من اي وقت مضى فرصة للتغلب على الاسباب التي اثارت احقاد الشعب الارلندي ودفعته الى ان يخلط، في حقد عام، الطبقات المظلومة في انجلترا بالطبقات الظالمة في كلا البلدين [١].

نتمنى ان تتجمع قريبا بين يدي اوكونور قيادة الحركة الشعبية في البلدين، ونعتبر التحالف المقبل بين الطبقات المظلومة في البلدين، تحت راية الديموقراطية، تقدما هاما لقضيتنا بصورة عامة.

لجنة الجمعية الديموقراطية:

جوتراند: رئيس

ماركس: نائب رئيس

بيكار: سكرتير

من هم الطوباويون؟ [٢]

زعمت جريدة **المناظرة الاجتماعية** في عدد ٦ فبراير انها تدافع عن جمعية بروكسل الديموقراطية وفروعها المحلية ونبيح لانفسنا حق تقديم بضعة ملاحظات حول فن وطريقة هذا الدفاع.

قد يكون مفيدا للحزب الراديكالي البلجيكي ان يبرهن للكاثوليك بانهم يعملون ضد مصالحهم عندما يهاجمون الحزب الراديكالي

١- وهذا تماما ما يمارسه الى اليوم الذين يخلطون بين الطبقات البورجوازية الحاكمة في الغرب والبروليتاريا الغربية.

٢- ماركس ١٨٤٨. كتب هذا المقال ردا على الاسبوعية البلجيكية: المناظرة الاجتماعية وهي اسبوعية راديكالية وديموقراطية بورجوازية.

البلجيكي. وقد يكون مفيدا لنفس هذا الحزب ان يميز بين قمة وقاعدة هرم رجال الدين وان يتوجه في نفس الوقت بالثناء على رجال الدين عموما تقديرا للحقائق التي يعترف بها فريق منهم فقط. فليس لنا بكل ذلك ادنى علاقة. بيد اننا نعجب لكون **المناظرة** لم تلاحظ بان الجرائد الكاثوليكية الفلاندرية تسارع فورا لنشر الهجومات ضد الجمعيات الديموقراطية التي تقودها اليومية الليبرالية **الاستقلال البلجيكي**، التي ليس لها على حد علمنا، روابط كاثوليكية.

تقول **المناظرة الاجتماعية** بان البلجيكيين يطالبون باصلاحات سياسية بواسطة الجمعيات الديموقراطية. لكن **المناظرة** تنسى بهذه المناسبة ان تشير للطابع الاممي للجمعية الديموقراطية. لكن هل تراها نسيت ذلك حقا. الا تعلم ان جمعية تعمل كل ما لا تستطيع لقيام الديموقراطية في جميع البلدان، عليها اولا ان تعمل على قيامها في البلد الذي اتخذت منه مقرا؟

لم يكف **المناظرة الاجتماعية** ان تتحدث عما يريد البلجيكيون تحقيقه، بفضل الجمعيات الديموقراطية، بل تذهب ابعد من ذلك لتتحدث عما لا يريد البلجيكيون تحقيقه. وفي صيغة اخرى عما لا **ينبغي** لهم ان يريدوه عندما ينخرطون في هذه الجمعيات الذي كونها البلجيكيون... للمطالبة باصلاحات سياسية. **حذار ايها الاجانب!**

كتبت **المناظرة**: «الاصلاحات السياسية التي يريد البلجيكيون المطالبة بها عبر الجمعيات الديموقراطية، ليست جزءا من الافكار الطوباوية [الشيوعية] التي يتابعها بعض الديموقراطيين في البلدان التي لا تترك فيها المؤسسات الاجتماعية مكانا للامل في تحقيق اصلاحات فعالة، والتي يبدو فيها اذن الحلم ببناء قصور على الرمال معقولا اكثر من الحلم بالرفاهية المتواضعة التي تنعم بها الشعوب

الحرة. ان من لا يملك شروى نقير يستطيع ان يحلم دفعة واحدة بالملايين اكثر مما يستطيع ان يحلم بمائة فرنك ريعا او ربحا».

من الواضح ان **المناظرة** تتحدث هنا عن الشيوعيين.

نريد ان نسألها عما اذا كانت «الرفاهية المتواضعة» في بريطانيا «الحرة» تتجلى في واقع ان الانفاق على الفقراء يتزايد بأسرع مما يتزايد الانسان؟

ونريد ان نسألها ما اذا كانت تدرج البؤس الفلامندي في «الرفاهية المتواضعة التي تنعم بها الشعوب الحرة»؟

نريد منها ان توضح لنا هذا السر: ما هي فاعلة لتعويض الاجرة بـ «مائة فرنك ريعا او ربحا»؟ لكنها ولا ريب تقصد بـ «الرفاهية المتواضعة التي تنعم بها الشعوب الحرة»، الرفاهية المتواضعة التي ينعم بها الرأسماليون والمالكون العقاريون!

واخيرا نريد أن نسألها عما اذا كانت جمعية بروكسل الديموقراطية قد كلفتها بأن تصم بالكذب الطوباويين الذين لا يؤمنون بـ «السعادة المتواضعة التي تنعم بها الشعوب الحرة»؟

بيد ان **المناظرة** لا تتحدث عن الشيوعيين عموما بل عن **الشيوعيين الالمان** الذين – نظرا لان الاوضاع السياسية في بلدهم لا تسمح لهم بتكوين رابطة المانية ولا «جمعية ليبرالية» المانية – يسقطون يائسين في احضان الشيوعية.

نلاحظ **للمناظرة الاجتماعية** بأن الشيوعية ولدت في انجلترا وفرنسا وليس في المانيا.

وعلى كل حال نقدم **للمناظرة** التطمين التالي مبادة بالتطمين الذي قدمته هي: الشيوعية الالمانية هي العدو اللدود لكل طوباوية، وهي ابعد ما تكون عن انكار التطور التاريخي، بل هي بالاحرى تستند عليه لتبرر صحة هدفها.

بالتأكيد المانيا متأخرة كثيرا عن ركب التطور السياسي، وما زال عليها ان تجتاز مراحل سياسية طويلة. اننا آخر من ينكر ذلك. لكننا من جهة اخرى نعتقد ان بلدا يضم اكثر من ٤٠ مليون نسمة لن يبحث عن نموذج حركته في راديكالية البلدان الصغيرة الحرة [١] عندما يكون المطلوب هو الاعداد لثورة.

أتقصد **المناظرة** بالشيوعية الاشارة الى التعارضات الطبقية والصراع الطبقي؟ اذا كان ذلك هو المقصود فان الشيوعية ليست شيوعية، بل الشيوعي هو الاقتصاد السياسي والمجتمع البورجواظي. فمن المعروف ان روبير بل تنبأ بان تناحر الطبقات في المجتمع الحديث لا بد له ان ينفجر في شكل ازمة رهيبة. ومن المعروف ان جيزو نفسه لم يفعل شيئا آخر في كتابه، عن تاريخ الحضارة، سوى عرض اشكال محددة من صراع الطبقات. لا مراء في ان بل وجيزو طوباويان، وليس هناك من واقعي الا الذين يعتبرون تجليات الواقع الاجتماعي عدوانا على الفهم السليم للحياة! المناظرة حرة في اعجابها بأمريكا الشمالية وسويسرا والتعالي بهما الى مرتبة المثال! لكننا نسألها فقط بكل بساطة ما اذا كان الدستور السياسي لامريكا الشمالية قد استطاع يوما ان يدخل الى اوربا بدون خضات اجتماعية؟

نرجو المعذرة من **المناظرة** اذا كنا واهمين جدا الى حد الاعتقاد بان المطالبة بالميثاق الانجليزي لم يقدمها بعض المفكرين الحالمين بالاقتراع العام، بل قدمها حزب عظيم موجود في طول البلاد

١- يعلم ماركس جيدا ان جل البلدان الصغيرة في اوربا هي اما من مخلفات الماضي واما من صنع رجعي الحلف – المقدس المضاد للثورة. ولهذا سيلاحظ انجلز، في معمعان الازمة الثورية، بان «الحرب الاهلية لم تصل الى بلجيكا؛ الا يقف نصف اوربا على حدودها ليتآمر مع المتمردين، كما فعل قبلا بالنسبة لفرنسا ١٧٩٣؟». (٣-٩-١٨٤٨).

وعرضها كان هو نفسه ينطوي على بروتسيس [١] توحيد العمال الانجليز في طبقة. وقد طالب بهذا الميثاق لهدف يختلف تماما عن الدستورين الامريكي والسويسري. وستكون له ايضا نتائج اجتماعية مختلفة كليا [٢]. نحن نرى ان الطوباويين هم اولئك الذين يفصلون الاشكال السياسية عن حقيقتها الاجتماعية ويقدمونها كمبادئ تجريدية وعامة (...) .

الوضع في بلجيكا [٣]

منذ ١٥ يوما فقط رفضت البورجوازية البلجيكية الجمهورية التي طالب بها الشعب؛ وها هي اليوم تستعد لاخذ زمام الحركة الجمهورية. انها ما زالت لا تنادي بالجمهورية بصوت عال، لكنها في كل مكان من بروكسل تقول بصوت خفيض وفي الاذن: «فعلا، يجب ان يرحل ليبولد؛ فعلا لا يمكن ان ننقذ انفسنا الا بالجمهورية، لكن ما يلزمنا هو جمهورية جيدة ومستقرة، بدون تنظيم للعمل، بدون اقتراع عام وبدون ان يتدخل فيها العمال!».

انه لتقدم. نفس البورجوازيين الذين كانوا، لايام خلت، يفرطون في تبرئة انفسهم من كل نية لتقليد الجمهورية الفرنسية، شعروا اليوم

١- بروتسيس تعني نموا متصاعدا ومتتابعا لظاهرة ما.

٢- منذ ١٨٤٣ كتب انجلز «ان تطور فرنسا السياسي يظهر بوضوح كيف ينبغي ان يجري التاريخ القادم للشارتيين الانجليز». ويرى ماركس ان مطالب الشارتية العمالية الانجليزية لا ينبغي ان تنتهي الى سيادة البرلمانية البورجوازية بل الى الثورة العنيفة: «ان الاقتراع العام الذي كان في ١٨٤٨، في فرنسا، شكلا للتآخي العام، هو في انجلترا صرخة حرب. في فرنسا، كان المضمون الفوري للثورة هو الاقتراع العام، اما في انجلترا فان المضمون الفوري للاقتراع العام هو الثورة» (ماركس ١٨٥٥).

٣- انجلز، ١٨ مارس ١٨٤٨.

بعواقب ازمة باريس المالية عليهم. راحوا يحقرون التقليد السياسي بينما هم يكابدون التقليد المالي. راحوا يتغنون بأناشيد الاستقلال والحياد البلجيكيين، بينما هم يجدون ان بورصة بروكسل خاضعة كليا وبكل ذل لبورصة باريس. حزام الجيش الذي يحتل الحدود الجنوبية لم يمنع انخفاض النقود من الدخول، بطبل وزمر، الى الاراضي البلجيكية المضمونة والمحايدة.

الطلبة، الرسامون والعمال يقاتلون معا [1]

(...)

انباء المانيا مسرة جدا. في **تاسو** نجحت الثورة نجاحا كاملا. وفي **ميونيخ** يخوض الطلبة، الرسامون والعمال معمعان انتفاضة متصاعدة. وفي **كاسل** تقيم الجماهير المسلحة سهرات ثورية. وفي برلين يسيطر الخوف والمواربة. وفي جميع انحاء اقليم فستفالي اعلنت حرية الصحافة ونودي بانشاء الحرس الوطني. وهذا يكفي الآن.

اذا تمسك فريدريك غليوم بالعناد، فان الجولة عندئذ ستكون رابحة. وما هي الا بضعة شهور وتندلع الثورة الالمانية. وحبذا لو يتمسك فريدريك بالمخلفات الاقطاعية! لكن، يا للشيطان، من يستطيع

١- انجلز الى ماركس، ٩ مارس ١٨٤٨.

الموجة الثورية التي كانت تجتاح اوربا طوال الفترة الممتدة بين ١٨٤٨ و ١٨٤٩ امتدت الى المانيا. وعندما اندلعت الثورة في بروسيا ٩ مارس ١٨٤٨ كان فرع رابطة الشيوعيين بكولونيا ضعيفا كما ونوعا.

التنبؤ بما سيفعله هذا الشخص الغريب الاطوار والمختل عقليا.

في كولونيا، كل البورجوازية الصغيرة تريد الانضمام الى الجمهورية الفرنسية: ما زالت ذكريات ١٧٩٧ مسيطرة الى الآن.

الحزب في الثورة
(١٨٤٨ ـ ١٨٥٠)

شر الامور الوسط لأن الوسط المحمود هو عين نقيض التاريخ، هذا التاريخ الذي يدفع كل مبدأ الى حدة الاقصى. التاريخ يعبد التناقضات لانه لا يتطور الا بفضلها.

برونو باور

من بين جميع ادوات الانتاج، الطبقة الثورية هي اعظم قوة منتجة.

ماركس

الى الاتحادات العمالية في كل انحاء المانيا (١)

اذا كنا لا نريد ان ننخدع مرة اخرى، واذا كنا لا نريد ان نكون، لسنوات طويلة اخرى، مستغَلين ومستذلين من قبل الاقلية، يجب ان لا نترك لحظة تمر بدون نشاط.

اذا بقينا معزولين كما كنا حتى الآن، فاننا سنظل دوما ضعافا رغم اننا نعد بالملايين. اما اذا اتحدنا ونظمنا انفسنا، فاننا سنشكل قوة لا تصد. ولهذا علينا ايها الاخوة العمال ان نشكل في كل مدينة وفي كل قرية **اتحادات عمالية، نناقش فيها وضعنا الطبقي، ونقترح**

١- هذا المنشور، الذي نشرته مختلف الصحف العمالية، نداء لاتحاد البروليتاريا الالمانية من اجل النضال، كشرط اولي للنجاح.

هذا النداء اعدته رابطة الشيوعيين في باريس وارسلته الى ماينس بواسطة فالاو عضو المجلس المركزي، وكلوس عضو الرابطة. عندما عاد ماركس وانجلز الى المانيا توقفا بماينس، قبل مواصلة السفر الى كولونيا، لكي يناقشا مخطط النشاط اللاحق لتنظيم ارتباط بين الجمعيات الموجودة وانشاء اتحادات عمالية جديدة، ضرب من المجالس العمالية. وقد نشر في ١٣ ابريل ١٨٤٨.

فيها التدابير الكفيلة بتغيير وضعنا الحالي، وننتخب فيها ممثلي الطبقة العاملة في البرلمان الالماني، ونعد فيها جميع المساعي الضرورية لحماية مصالحنا. وعلاوة على هذا، فعلى جميع **الاتحادات العمالية** بألمانيا ان تربط، في اسرع وقت ممكن، علاقات فيما بينها وان تحافظ عليها.

نقترح عليكم اختيار ماينس كمركز لجميع الاتحادات العمالية، والشروع في مراسلة اللجنة الموقعة ادناه، لكي نتشاور حول المخطط المشترك وان نحدد نهائيا في اسرع وقت ممكن، عقد اجتماع المندوبين، مقر اللجنة المركزية...

ماينس ٥ ابريل ١٨٤٨

الجمعية العمالية

عن اللجنة المديرة:

الرئيس: المحرر:

فالاو **كلوس**

(Wallau) **(Klaus)**

الجمهورية الحمراء [١]

كولونيا، ١٨ سبتمبر ١٨٤٨. عقد امس اجتماع شعبي كبير قرب

١- مقتطفات من محضر الجلسة الذي نشرته الجريدة الرينانية الجديدة في ١٩ سبتمبر ١٨٤٨.

دعا ماركس وانجلز لـ «الجمهورية الالمانية المتحدة» (تحت قيادة البورجوازية او تحت قيادة البروليتاريا).

فورينجن. وكانت خمس او ست قوارب نهرية تنزل مع نهر الراين منطلقة من كولونيا، يحمل كل واحد منها بضعة مئات من الاشخاص، ويعلق علما احمر. وقد حضرت وفود عديدة من نويس، دسلدروف، كرفيلد، الخ... وقد عقد الاجتماع بمرج على ضفاف الراين وكان يضم على الاقل بين ٦ و ٨ آلاف شخص.

انتخب المجتمعون كارل شابر رئيسا كما انتخبوا انجلز سكرتيرا. وقرر المؤتمر، باقتراح من الرئيس، باجماع الاصوات ما عدا صوتا واحدا رفع شعار **الجمهورية الحمراء الديموقراطية الاجتماعية**.

(...)

واعترف الاجتماع الشعبي، باقتراح من جوزف مول من كولونيا، بلجنة الامن **المنتخبة من الاجتماع العام بكولونيا**، وباقتراح من أحد الحاضرين نادى المجتمعون بحياة لجنة الامن ثلاث مرات.

(...)

وباقتراح أحد الحاضرين قرر الاجتماع بان **جريدة** كولونيا [١] لا تمثل مصالح رينانيا.

لكن امام خيانة البورجوازية الالمانية السريعة، رفعا شعار الجمهورية الحمراء بقيادة البروليتاريا وحدها. لكن البورجوازية كانت ما زالت اقوى من البروليتاريا ولهذا على حد قول انجلز في المقدمة البولاندية للبيان الشيوعي:

«انجزت ثورة ١٨٤٨ مهام البورجوازية بواسطة المحاربين البروليتاريين وتحت شعار البروليتاريا».

١- لسان البورجوازية الليبرالية، وقد تميزت بهجوماتها العنيفة على الجريدة الثورية الجريدة الرينانية الجديدة اكثر ما تميزت بالهجوم على الحكومة البروسية المطلقة.

ماركس و «الجريدة الرينانية الجديدة» (١)

عندما اندلعت ثورة فبراير لم يكن «الحزب الشيوعي» الالماني – كما كنا نسميه – الا نواة صغيرة جدا: رابطة الشيوعيين منظمة في جمعيات سرية للدعاية. اذا كانت الرابطة سرية فذلك فقط لأن حق تكوين الجمعيات والاجتماع لم يكن معترفا به في ألمانيا. زيادة على الجمعيات العمالية في الخارج – التي هي المصدر الاساسي لمد الرابطة بالمنخرطين – كان للرابطة في داخل المانيا حوالي ثلاثين كومونة او فرعا وبضعة اعضاء متناثرين في نواح عدة. لكن هذه القوى الضئيلة كانت تجد في ماركس قائدا من طراز فريد، وبفضله، وجدت برنامجا مبدئيا وتاكتيكيا ما زال الى اليوم يحتفظ بقيمته: **البيان الشيوعي.**

لنلقي نظرة اولا على الجزء السياسي من هذا البرنامج. انه يؤكد بصورة عامة على:

«لا يشكل الشيوعيون، في وجه الاحزاب العمالية الاخرى، حزبا منفصلا. وليست لهم مصالح منفصلة عن مصالح البروليتاريا ككل. وهم لا يقدمون مبادئ خاصة يزعمون صب الحركة البروليتارية في قالبها. الشيوعيون لا يتميزون عن الاحزاب البروليتارية الاخرى الا في نقطتين: فهم، من جهة، في مختلف نضالات البروليتاريين القومية يضعون في المقدمة ويغلّبون **المصالح المستقلة عن القومية والمشتركة لكل الطبقة البروليتارية ★، ويمثلون على الدوام**

١- انجلز، ١٣ مارس ١٨٨١.

★ «في مختلف النضالات القطرية للبروليتاريا، يقدم الشيوعيون المصالح التي تتخطى مصالح هذا القطر او ذلك

من جهة اخرى، في مختلف المراحل التي يجتازها الصراع بين البورجوازية والبروليتاريا **مصالح الحركة ككل**. الشيوعيون هم اذن، عمليا، احد فصائل الاحزاب العمالية العالمية الاكثر تقدما وحزما، انهم الفصيل الذي يدفع دوما الى الامام جميع الفصائل الاخرى. وهم يتميزون نظريا عن باقي جمهور البروليتاريا بمزية الادراك الواضح لشروط، لمسيرة وللاهداف العامة للحركة البروليتارية».

ويؤكد فيما يخص الحزب الالماني:

«يناضل الحزب الشيوعي في المانيا مع البورجوازية Kampft Zosamen mit ★ ما ناضلت هذه الاخيرة ثوريا ضد الملوكية المطلقة، الملوكية الاقطاعية والبورجوازية الصغيرة. بيد انه لا يتقاعس تحت اي ظرف من الظروف عن ان يوقظ عند العمال وعيا واضحا كل الوضوح بالتناقض بين البورجوازية والبروليتاريا

مشددين على المصالح العامة للبروليتاريا ككل» (ترجمة دار الطليعة). سبق لي ان حرضت في «في بعض مهام التيار...» بقراءة ترجمة دار الطليعة هذه بدلا من ترجمة موسكو المزورة... ويجب الاعتراف بان ذلك كان مني تسرعا لم تسبقه قراءة مقارنة للنص كما لم تسبقه قراءة للمقدمة التي جمعت التخلف من اطرافه. ويلاحظ القارئ ان الايديولوجيا القومجية التي تؤنث ادمغة مترجمية قد تدخلت في ترجمة بل تزوير هذا المقطع الهام الذي شدد عليه ماركس وانجلز، ولا عجب فالمترجمون اعضاء لامعون في حزبي: «حب الوطن من الايمان»، و «الدفاع الوطني»! وعلى كل حال لا يمكن لقومجيين تنقصهم النزاهة الفكرية الا ان يعطوا ما عندهم. والذنب هو ذنب الماركسيين في العالم العربي الذين تركوا للاساليين العرب فرصة للترجمة المغرضة واحيانا المزورة بصفاقة لا مثيل لها للنصوص الثورية.

★ ترجمت هذه العبارة في النص العربي بـ «يناضل بالاتفاق مع البورجوازية» (طبعة دار الطليعة) والذنب هنا هو ذنب بعض الترجمات الفرنسية. بعض هذه الترجمات، المشبعة بالفكرة الستالينية حول الجبهات الوطنية، ترجمتها بـ «يقيم جبهة مشتركة مع البورجوازية». وكلا الترجمتين ابعد ما تكون نصا وروحا عن البيان. حول هذه النقطة ماركس وانجلز ظلا الى آخر حياتهما واضحين كل الوضوح: ما دامت البورجوازية ثورية اي تناضل ضد الاقطاع والطبقات الرجعية الاخرى. فالبروليتاريا تناضل معها ضده دون ان تتحالف معها او تذوب فيها تنظيميا ونظريا اي برنامجيا. لان استقلال العمال تنظيميا، نظريا وبرنامجيا هو الهدف الاولي الذي يضعه الشيوعيون في المقدمة في كل نضال.

يجعلهما عدوين لكي يتمكن العمال الالمان، في الابان، من ان يديروا الى نحر البورجوازية، كأسلحة، الشروط الاجتماعية والسياسية التي عليها ان تدخلها في نفس الوقت مع سيطرتها: وهكذا فما ان تسقط الطبقات الرجعية في المانيا حتى يتيسر للنضال ان يُشن ضد البورجوازية نفسها. ان الشيوعيين يركزون اهتماما خاصا على المانيا. لان هذا البلد اصبح عشية ثورة بورجوازية ...».

لم يسبق قط لبرنامج تاكتيكي ان برهن على قيمته كما برهن البيان الشيوعي. لقد كتب عشية الثورة، وصمد لنار الثورة: وفي كل مرة انحرف حزب عمالي عن خطه لاقى عقابه، وما زال الى اليوم يشكل خطا اساسيا لجميع الاحزاب العمالية الحازمة والواعية في القارة الاوروبية من مدريد الى بترسبورج.

عجلت احداث فبراير الباريسية بمسيرة الثورة الالمانية، وبالتالي، عدلت طابعها. بدلا من ان تنتصر البورجوازية الالمانية بفضل قوتها هي، انتصرت في ظل مؤخرة الثورة العمالية الفرنسية. لقد كان عليها حتى قبل ان تنتصر انتصارا نهائيا على خصومها القدامي – الملكية الاقطاعية، الملكية العقارية الاقطاعية، البيروقراطية والبورجوازية الصغيرة الجبانة – ان تصطدم مع عدوها الجديد، البروليتاريا. لكن عندئذ تجلت الآثار المباشرة للشروط الاقتصادية، المتأخرة جدا بالقياس الى الشروط الاقتصادية في فرنسا وانجلترا، كما تجلت ايضا آثار العلاقات الطبقية في المانيا التي لم تكن هي الاخرى اقل تأخرا.

البورجوازية الالمانية التي بدأت لتوها في ارساء اسس صناعة كبيرة لم تكن لها القوة ولا الشجاعة ولا الحاجة الملحة للهيمنة على سلطة الدولة. اما البروليتاريا المتخلفة مثلها، التي تربت في الاستعباد الفكري المطبق، غير المنظمة والتي كانت ما زالت عاجزة

عن ان تتشكل في تنظيم مستقل، فلم تكن تملك الا احساسا مبهما بالتناحر العميق بين مصالحها ومصالح البورجوازية. وبحكم هذا الوضع، فانها، رغم انها كانت بجوهرها ذاته خصم البورجوازية المخيف، ظلت في الواقع ذيلها السياسي. البورجوازية المفزوعة، لا مما كانته البروليتاريا الالمانية في الواقع بل مما كانت تنذر بأن تكون مستقبلا، ومما كانته البروليتاريا الفرنسية اذ ذاك، لم تر لنفسها مخرجا الا في عقد اكثر التسويات حقارة مع الملكية والنبلاء. والبروليتاريا، التي كانت بسوادها الاعظم ما زالت تجهل رسالتها التاريخية المتميزة، لم تستطع الا ان تضطلع بمهمة دفع البورجوازي الى الامام بواقع انها شكلت جناحها اليساري المتطرف. كان على العمال الالمان اولا وقبل كل شيء ان يفوزوا بالحقوق الضرورية لهم لكي **ينظموا انفسهم** تنظيما مستقلا في حزب طبقي – حرية الصحافة، حرية تكوين التنظيمات وعقد الاجتماعات –، نفس الحقوق التي فازت بها البورجوازية لحساب سيطرتها الطبقية الخاصة لكنها، تحت تأثير رعبها، تأباها الان على العمال. اعضاء رابطة الشيوعيين المتناثرين هنا وهناك، والذين كانوا بالكاد حوالى مئة، طواهم موج الجماهير الغفيرة التي ارتمت بغتة في خضم الحركة. وهكذا ومنذ البداية ظهرت البروليتاريا الالمانية على المسرح السياسي باعتبارها الحزب الديموقراطي الاكثر تطرفا.

وهذا ما قدم لنا بطبيعة الحال، نحن الذين شكلنا لتونا جريدة كبرى لعموم المانيا، راية. لم يكن في وسع رايتنا الا ان تكون راية ديموقراطية، لكنها من نوع الديموقراطية التي تبرز في كل مكان وتفصيليا طابعا متميزا، لكنها كانت ما تزال لا تستطيع ان تكتبه والى الابد على رايتها[١]. ولو كنا رفضنا ذلك ولو لم نمسك بالحركة

١- كان العنوان الفرعي للجريدة الرينانية الجديدة: «لسان حال الديموقراطية» لكن برنامجها مع ذلك لم يكن ديموقراطيا فقط. بل ان دورها الاول كان تسديد سهام نقدها الذي لا يرحم لتصرفات الديموقراطيين: «لم يحصل لنا ابدا

من حيث كانت بالضبط، من طرفها الاكثر تقدما، البروليتاري الاصيل، فانه لم يكن ليبقى امامنا سوى ان نبشر بالشيوعية في جريدة محلية وان نؤسس، بدلا من حزب عمالي كبير، شيعة صغيرة. لكن لم نكن نريد ان نضرب في حديد بارد: لقد درسنا جيدا الطوباويين من اجل ذلك. وعلى كل حال فاننا لم نخطط برنامجنا من اجل هذا الهدف.

(...)

اذا كنا قد اخترنا كولونيا مقرا لجريدتنا ولم نختر برلين. فذلك اولا لان كولونيا كانت مركز القطر الريناني الذي عاش الثورة الفرنسية، وتبنى بفضل مُدَوَّنة نابليون مفاهيم قانونية حديثة، وطور صناعة كبيرة لا مثيل لها في المانيا، ومن جميع الاعتبارات كانت كولونيا يومئذ الجزء الاكثر تقدما في المانيا كلها. لقد كنا نعرف تماما، وبالتجربة الشخصية، برلين تلك الحقبة ببورجوازيتها التي رأت بالكاد النور، وببورجوازيتها الصغيرة الجريئة في الثرثرة والجبانة في العمل والذليلة، بعمالها المتخلفين حتى العظم، وببيروقراطييها الذين لا يحصى لهم عدد وبنبلائها الاوباش ومتملقيها الارذال، وباختصار بكل ما كان يجعل منها مجرد «حي باذخ».

(...) وبعد ان يتحدث انجلز عن مزايا كولونيا من حيث وجود حري الصحافة، هذه الحرية التي استخدمها ماركس حتى آخر قطرة، وعن المساهمين في الجريدة (التي كانت شركة مساهمة)

شرف الطموح بان نكون جريدة اي يسار برلماني. بل انه نظرا للعناصر المتنافرة التي ولد منها الحزب الديموقراطي في المانيا، رأينا بالعكس ودائما انه من الضرورة القصوى ان نراقب بعين لا تنام الديموقراطيين انفسهم اكثر مما نراقب سواهم».

انجلز، اغسطس ١٨٤٨.

الذين ما كاد يظهر العدد الاول حتى انسحب منها نصفهم. ثم يتحدث عن تحرير الجريدة فيقول انها كانت منظمة تنظيما محكما بفضل «ديكتاتورية» ماركس، لكنها كانت ديكتاتورية مقبولة من الجميع، يمضي قائلا:

كان البرنامج السياسي **للجريدة الرينانية الجديدة** يتركز في نقطتين اساسيتين: اقامة جمهورية المانية ديموقراطية متحدة، محاربة روسيا وتحقيق استقلال بولانده.

كانت الديموقراطية البورجوازية الصغيرة في هذه الحقبة منقسمة الى كتلتين: كتلة المانيا الشمالية التي كانت تكتفي بامبراطور بروسي ديموقراكي، وكتلة المانيا الجنوبية المقتصرة عمليا على بلاد الباد والتي كانت تريد تحويل المانيا الى جمهورية اتحادية من الطراز السويسري. اما مصلحة البروليتاريا فقد كانت تعارض بقدر متساو تبريس المانيا والابقاء على نظام الدويلات الصغيرة. لقد كانت لذلك تطالب بإلحاح بتوحيد المانيا في امة واحدة، هذه الامة هي التي كانت وحدها قادرة على كنس جميع العوائق، الموروثة من الماضي، من ساحة الوغى التي ستواجه عليها البروليتاريا البورجوازية. وبنفس القدر كان هذا البرنامج يعارض هيمنة بروسيا. ذلك ان الدولة البروسية، بجميع مؤسساتها، تقاليدها وأسرتها المالكة، كانت بالضبط هي العدو الوحيد الجدي الذي كان على الثورة ان تطيح به في المانيا. وفضلا عن ذلك فان بروسيا لم تكن تستطيع توحيد المانيا الا بتفكيك أوصال الامة الالماينة اي باستبعاد النمسا الالمانية. اذن كان برنامجنا هو حل الدولتين البروسية والنمسوية وتوحيد المانيا توحيدا حقا في جمهورية – لم نكن نستطيع اتخاذ برنامج ثوري فوري آخر –. وكان على جميع هذه المهام ان تتحقق عبر الحرب ضد روسيا، وعبر هذه الوسيلة فقط. وسأعود بعد قليل لهذه النقطة الاخيرة.

لك يكن في لهجة الجريدة اي بهورة، لقد كانت اما جدية واما متحمسة. لم نواجه الا خصوما بائسين، وكنا نعاملهم جميعا بدون

استثناء باحتقار عميق: القصر الملكي المتآمر، البطانة الحاكمة، النبلاء، الكروتسايتونج وكل «الرجعية» التي كانت تثير استنطار التافهين الاخلاقي – كنا نعامل كل هذه المجتمع اللامع بما كان يستحق. لكننا لم نكن اقل قسوة تجاه الاصنام الجديدة التي اوجدتها الثورة: وزراء مارس، برلمان فرانكفورت وبرلين، اليمين واليسار على حد سواء. اصدرنا، منذ العدد الاول فصلا يسخر من عجز برلمان فرانكفورت، من الخطب المملة والفارغة التي تلقى على منصته ومن القرارات الجبانة واللامجدية التي كان يتخذها. وهذا كا كلفنا نصف مساهمينا. لم يكن برلمان فرانكفورت حتى ناديا للنقاش: عمليا لم يكن يناقش فيه شيء على الاطلاق، وانما كانت تتلى فيه غالبا لوائح طويلة اعدت سلفا على غرار البحوث الاكاديمية, وكانت تتخذ فيه قرارات لاثارة حماس الالماني التافه فقط ولم تكن تثير اهتمام سواه.

لقد كان لبرلمان برلين، الذي كان يواجه قوة حقيقة، اهمية اكثر مما كان لبرلمان فرانكفورت. لقد كانت مداولاته تدور وقراراته تتخذ على ارضية صلبة لا في الضباب كما في دار عصافير فرانكفورت. ولهذا السبب كنا نعيره اهتماما بالغا. اما اصنام اليسار البرلينية امثال شولتزه – ديليتس، براندس، شتاين الى اخر القائمة الكئيبة فقد كنا نعاملهم بنفس القسوة التي نعامل بها الاصنام الفرانكفورتية، كاشفين دون رحمة تذبذبها، تسويفاتها وحساباتها الصغيرة الحقيرة، لكي نظهر لهذه الاصنام اليسارية كيف انها بانتقالها من تسوية الى اخرى انتهت الى خيانة الثورة. وقد اغضب ذلك ايما اغضاب البورجوازي الصغير الديموقراطي الذي انتهى لتوّه من فبركة هذه الاصنام اليسارية لاستخدامها لمصلحته. واغضابه كان علامة لا تخطئ على اننا حققنا نجاحا باهرا. وكذلك كنا نمزق اقنعة الاضاليل التي كانت البورجوازية الصغيرة تروج لها بحمية، هذه البورجوازية الصغيرة

التي كانت تزعم بان الثورة اكتملت وانتهت مع ايام مارس ولم يبق الا تخزين ثمارها في الاهراء. اما بالنسبة لنا نحن فان ثورة فبراير ومارس لا يمكن ان تكتسب مدلول ثورة حقيقية الا اذا كانت، بدلا من ان تمثل نقطة انتهاء، تمثل بالعكس نقطة انطلاق **لبروتسيس ثوري طويل يتطور عبره، كما حدث ذلك في الثورة الفرنسية العظمى، الشعب نفسه بفضل نضالاته الخاصة،** في حين كانت الاحزاب تتحدد تلقاء بعضها بعضا بطريقة عدائية اكثر فاكثر حتى يتجانس كل واحد منها مع احدى الطبقات الكبرى – البورجوازية، البورجوازية الصغيرة والبروليتاريا – والى ان تفوز البروليتاريا بمواقعها الخاصة بها بسلسلة من النضالات العنيفة التي تخوضها طوال ايام. ولهذا السبب كنا نتصادم ايضا مع البورجوازية الصغيرة الديموقراطية في كل مكان كانت تسعى فيه الى اخفاء تعارضها الطبقي مع البروليتاريا بسؤالها المفضل: «ألسنا نريد جميعا نفس الشيء في نهاية المطاف؟ وكل الاختلافات بيننا لا تقوم الا على مجرد سوء تفاهم. بيد انه كلما كنا لا نترك مجالا للبورجوازية الصغيرة لسوء فهم ديموقراطيتنا البروليتارية كلما كانت تزداد طاعة لنا وخضوعا. وكلما واجهت البورجوازية الصغيرة بحسم وصرامة، كلما خنعت وانحنت لخدمتك. وبهذه الطريقة يحصل الحزب العمالي منها على اكبر قدر ممكن من التنازلات. كل ذلك جربناه وعشناه.

وكنا، اخيرا، نمزق قناع الغباوة البرلمانية – على حد تعبير ماركس – لمختلف البرلمانات الوطنية المزعومة. لقد ترك السادة البرلمانيون جميع وسائل القوة تنزلق من ايديهم بل انهم حولوها بأيديهم، وجزئيا بحرية، للحكومات. امام حكومات رجعية تعزز، على هذا النحو، جانبها، كان يقف في فرانكفورت وبرلين مجلسان عاجزين يتخيلان ان قراراتهما التافهة قادرة على زلزلة الارض. لقد كان هذا التضليل الذاتي للأغبياء سائدا حتى بين أقصى اليسار. وكنا

نقول لمن هم في اقصى اليسار: سيتواقت انتصاركم البرلماني مع هزيمتكم الحقيقية.

وهذا ما حدث فعلا في كل من برلين وفرانكفورت عندما احرز «اليسار» على الاغلبية، فشتت الحكومة البرلمان كله: ولقد كانت قادرة على ذلك لأن البرلمان بدد ثقة الشعب فيه.

عندما قرأت فيما بعد كتاب أ. بوجار عن **مارا** [(١)]، **صديق الشعب**، وجدت اننا، دون ان ندري، قد قلدنا في حيثيات عدة تقليدا كاملا مثل صديق الشعب الحقيقي (الذي لم يزوره الملكيون). ومن ثم، فان كل السعار الهستيري وكل التزويرات التاريخية، التي لم نعرف بسببها طوال قرن تقريبا الا **مارا** مشوها كليا، كان لها سبب واحد وحيد: ذلك ان **مارا** كان قد نزع بلا رحمة قناع كل اصنام تلك الحقبة امثال **لافاييت، بايي** ومن لف لفهما، وكشفهم كخونة بالكامل للثورة. كان مارا نفسه – كما كنا نحن – لا يعتبر ان الثورة قد اكتملت، بل ان نادى بها ثورة دائمة.

لقد كنا نؤكد علنا بأن الاتجاه الذي كنا نمثله لا يستطيع ان ينخرط في الصراع للفوز بأهداف حزبه الحقة الا عندما يصعد الى السلطة الحزب الاكثر تطرفا من الاحزاب التي كانت موجودة رسميا في المانيا: وعندئذ كنا سنشكل المعارضة لهذا الحزب المتطرف.

لكن شاءت الاحداث ان تتواكب السخرية من الخصم الالماني مع التهاب المشاعر [الثورية] ★. لقد وجدتنا انتفاضة العمال الباريسيين

١- مارا ثوري فرنسي من الجناح المتطرف من حزب الجبل، رئيس تحرير جريدة «صديق الشعب» وكان داعية متحمسا للعنف الثوري ومواصلة الثورة بدون توقف.

★ يشير انجلز بهذا المقطع الى ثورة عمال باريس في يونيو ١٨٤٨.

في يونيو ١٨٤٨ في مواقعنا [لتأدية الدور المناسب]. منذ الطلقة الاولى كنا قلبا وقالبا واقفين الى جانب العمال الثائرين. وبعد هزيمتهم حيا ماركس المهزومين في احدى مقالاته الرائعة (ثورة يونيو).

عندئذ فقدنا آخر المساهمين ماليا في الجريدة. لكننا شعرنا بالرضى لكوننا كنا الجريدة الوحيدة في المانيا وعمليا في اوربا كلها، التي رفعت راية البروليتاريا المهزومة. بينما كان البورجوازيون والبورجوازيون الصغار في جميع البلدان يغرقون المهزومين بسيل من افتراءاتهم.

سياستنا الخارجية كانت واضحة: التدخل لصالح كل شعب ثوري، الدعوة لحرب شاملة تشنها اوربا الثورية ضد قلعة الرجعية الاوربية الكبرى: روسيا. لقد كان واضحا بالنسبة لنا منذ ٢٤ فبراير ان الثورة لم يكن لها الا عدو واحد مخيف جدا: روسيا، وكان واضحا ان هذا العدو سيكون مرغما اكثر فأكثر على التدخل في الصراع كلما انتشرت الحركة الثورية في اوربا. ستؤخر احداث فينا، ميلانو، وبرلين الهجوم الروسي، لكن اندلاعه النهائي كان يتأكد كلما امتدت الثورة الى روسيا نفسها. وفي مثل هذاالوضع، لو زج بألمانيا في الحرب ضد روسيا، لكان ذلك سيعني نهاية ملك آل هابسبورج وهوهنزوللرن وانتصار الثورة انتصارا كاملا.

شكلت هذه السياسة لحمة كل عدد من اعداد الجريدة حتى اليوم الذي غزت فيه روسيا المجر عمليا، مؤكدة كليا توقعنا، واضعة في نفس الوقت ختمها على هزيمة الثورة.

عندما اقتربت المعركة الحاسمة، فبراير ١٨٤٩، غدت جريدتنا في كل يوم اكثر حمية واكثر حماسا. في سلسلة من ثمانية فصول (المليارات السيليزية) ذكّر فيلهم فولف فلاحي سيليزيا بأنهم حرموا

يوم الغيت التكاليف الاقطاعية، من مبالغ طائلة من النقود والارض لصالح السادة بفضل تواطؤ الدولة معهم (...)

وفي نفس الوقت كان ماركس ينشر دراسته: **العمل المأجور ورأس المال** في سلسلة من الافتتاحيات لكي يسجل الهدف الاجتماعي لسياستنا. كان كل عدد عادي او اضافي يحدد المعركة الكبرى التي كانت في طور المخاض ويشير الى احتداد التناقضات في فرنسا، ايطاليا، المانيا والمجر. وقد كانت اعداد شهري ابريل ومايو الاضافية عبارة عن نداءات للشعب لكي يهيء نفسه لخوض المعركة.

لقد تعجب الكثيرون «خارج المانيا» من اننا استطعنا، بدون عقبات، ان نقوم بمثل هذا التحريض في قلب قلعة بروسية عاتية، في مواجهة حامية من ۸۰۰۰ جندي وقيادة اركانهم. لكننا لم نستطع ذلك الا بـ ۸ بنادق وحراب و ۲٥۰ خرطوشة كانت معنا في صالات التحرير، وكذلك بفضل قبعات اليعاقبة الحمراء على رؤوس عمال مطبعتنا، لقد كانت ادارة تحريرنا تتمتع لدى ضباط الحامية بسمعة انها هي الاخرى قلعة لا يستطيعون اقتحامها بدون مقاومة ضارية.

واخيرا حدث الحدث الاكبر في ۱۸ مايو ۱۸٤۹.

سحقت انتفاضة درسدن والبيرفلد، الجيش يطوق ثوار ايزرلون، وكانت منطقة رينانيا وفستفاليا مزروعة بالحراب، وعلى أهبة الهجوم على بلاتينا وبادز وعندئذ تجرأت تحت طائلة الملاحقات العدلية، والآخرون كانوا، لكونهم غير بروسيين، مهددين بالطرد. لم نستطع ان نقاوم طالما ان جيشا بكامله يقف وراء الحكومة. واضطررنا الى التخلي عن قلعتنا، لكننا انسحبن منها بكامل اسلحتنا وأمتعتنا، وبكل شرف ورايتنا مرفوعة ومعنا العدد الاخير المعنون

بالاحمر، الذي حذرنا فيه عمال كولونيا من محاولات يائسة للقيام بانقلاب عسكري موجهين لهم الكلمة التالية:

«يتوجه لكم محرروا **الجريدة الرينانية الجديدة**، في لحظة رحيلهم، بالشكر على مشاركتكم الثمينة. وستكون كلمتهم الاخيرة دائما وفي كل مكان: **لتتحرر الطبقة العاملة**».

وهكذا انتهت **الجريدة الرينانية الجديدة** قبل بضعة اسابيع من نهاية العام الاول من عمرها. لقد نجحت في رفع طبعها الى ٥٠٠٠ نسخة منذ بداية شهر سبتمبر وذلك عمليا بدون موارد مالية – لان المساهمات التي توفرت لها في البداية لم تلبث، كما اشرنا الى ذلك، ان توارت –. لقد توقفت عن الصدور عند اعلان حالة الحصار في كولونيا، وعادت للظهور انطلاقا من صفر في منتصف اكتوبر. لكن في مايو ١٨٤٩عندما كان صوتها على وشك ان يُخمد، كان عدد مشتركيها قد بلغ٦٠٠٠ او كاد، في حين ان **جريدة كولونيا** لم يبق لها، باعترافها، اكثر من ٩٠٠٠ مشترك. لم يكن لأي جريدة المانية لا قبلها ولا بعدها مثلما كان لها من القوة والـاثير. ولم تستطع اي جريدة المانية لا قبلها ولا بعدها ان تكهرب الجماهير البروليتارية مثلما كهربتها **الجريدة الرينانية الجديدة**.

وذلك كله اساسا بفضل ماركس.

(...)

مداخلة ماركس في جمعية فينا الديموقراطية [١]

يرى ماركس انه لا معنى لمعرفة من هو الوزير، عندما يصبح

١- فقرة من مداخلة ماركس امام الجمعية، اغسطس ١٨٤٨.

المطلوب الان هنا – كما في باريس – هو الصراع بين البروليتاريا والبورجوازية. لقد كان خطابه في منتهى الذكاء والراديكالية وغنيا بالمعلومات.

لقد تحدث ماركس عن عمال المهجر خاصة الالمان منهم، عن الورشات القومية، وعن ثورة باريس الاخيرة. وقد قال ان على عمال المانيا ان يعتزوا بكون عدد من مواطنيهم كانوا من بين المنفيين. وتحدث بعد ذلك عن الشارطيين في انجلترا ونشاطهم التحريضي الاخير قائلا: بفضل الثورة في انجلترا يمكن ان يحقق عمال اوربا تحررهم الكامل (...).

جلسة لجنة الاتحاد العمالي في ١٥-١-١٨٤٩ (١)

يقترح المواطن انيكه ان يكون موضوع مناقشة الجلسات التالية هو الانتخابات المقبلة.

المواطن ماركس يرى ايضا ان الاتحاد العمالي بوضعه الحالي [ضعفه التنظيمي] لا يستطيع ان ينجح مرشحيه. ومهما يكن من

١- هذه النصوص تتعلق بالخلاف بين المنظمات الثورية وداخل التنظيم الثوري، هذا الخلاف الذي ثار بالتوازي مع المرور الى مطلب الجمهورية الحمراء الديموقراطية الاجتماعية.

وموضوع الخلاف كان يدور حول ما اذا كان ينبغي استخدام الوسائل السياسية. بهذا الصدد اختلف ماركس مع مؤسس الاتحاد العمالي جوتشالك. كان هذا الاخير يدافع عن المطالب الاقتصادية الخاصة بالعمال ويستنكف عن الخوض في السياسة، مكتفيا بتقديم عرائض باسم العمال الى السلطات القائمة. اما ماركس فقد كان يدافع عن ضرورة خوض نشاط سياسي واسع النطاق مستخدما جميع الوسائل السياسية الممكنة في اطار المرحلة التاريخية والبرنامج الشيوعي لقلب جميع السلطات القائمة.

شيء فليس المطلوب الان تحقيق شيء ما على صعيد المبادئ، بل المطلوب هو معارضة الحكومة، معارضة الحكم المطلق، والسلطة الاقطاعية. ولتحقيق هذه المهمة يكفي ان يتقدم الديموقراطيون، الليبراليون الادعياء، الذين هم ايضا ليسوا على وفاق ابدا مع الحكومة الحالية. ينبغي اخذ الوضع كما هو فعلا. وبما ان المهم اليوم هو مجابهة النظام المطلق الحالي باقوى معارضة ممكنة، فان الذوق السليم يقضي بان نسلم بأنه لا سبيل لتحقيق تصورنا ومبادئنا الخاصة بالانتخابات وانه لا بد من الاتفاق مع حزب آخر معارض ايضا حتى لا يكون النجاح حليف عدونا المشترك، الملكية المطلقة.

وفي النهاية تقررت المشاركة في اللجنة الانتخابية العامة بكولونيا (...) للدفاع عن المبدأ الديموقراطي العام.

ولتحقيق اتصال وثيق بين العمال والديموقراطيين، عُين المواطن شابر والمواطن روزر اللذان يشاركان في اجتماعات لجنة الجمعية الديموقراطية وطلب منهما ان يقدما تقريرا عن نتائج نشاطهما.

قرار الجمعية العامة للاتحاد العمالي ١٦ ابريل ١٨٤٩

قررت الجمعية بالاجماع:

١- مغادرة اتحادية الجمعيات الديموقراطية بالمانيا، والانضمام الى فدرالية الاتحادات العمالية الالمانية الذي توجد لجنته المركزية بلايبزغ [١].

١- طرح ماركس وانجلز شرطين للعمل المشترك مع القوى الديموقراطية للطبقات الاجتماعية الاخرى: ان يكون المطلوب تحقيق مهام بورجوازية ما زالت تقدمية، وان تناضل هذه القوى على الارضية الثورية لا على الارضية الاصلاحية. والشرط الثاني كان غائبا في المانيا هذه الحقبة. وذلك ما برر الخروج من هذا التنظيم الذي افرغه من

٢- تكليف لجنتها بالدعوة الى مؤتمر عمالي عام يعقد في لايبتسيج ومؤتمر اقليمي آخر لجميع الاتحادات العمالية برينانيا وفستقاليا من اجل تحقيق التحام الحزب الاشتراكي المحض التحاما وثيقا.

٣- ارسال وفد لمؤتمر الاتحادات العمالية بالمانيا الذي سيعقد قريبا في لايبتسيج.

اجتماع اللجنة ١٧-٤-١٨٤٩

تبعا لقرار الجمعية العامة امس القاضي بالدعوة لعقد مؤتمر، في الاحد الاول من مايو، يضم مندوبي جميع الاتحادات العمالية برينانيا وفستفاليا.

لتنفيذ هذا القرار، عينت اللجنة لجنة اقليم موقتة من ستة اعضاء: ماركس، فولف، شايبر، انيكه، ايسر، اوتو وكلفت هذا الاخير بتوجه دعوة معللة للاتحادات المعنية.

قرار الفرع الاول لاتحاد عمال كولونيا

اقتراح

١- نظرا الى ان جوتشالك قدم في جريدة الحرية والعمل كارل ماركس كصديق ونصير لنائب فرانكفورت، فرانتس رافو، بينما

مدلوله، رغم ان المهام الديموقراطية الضرورية كانت ما زالت لم تتحقق. وكان لا بد من استبدال التحالف مع الحزب الديموقراطي بالتلاحم بين فصائل الحزب العمالي، الاشتراكي المحض.

شرح ماركس بوضوح، في اجتماع اللجنة يوم ٨ فبراير، بأنه اذا كان حاليا يدعم ترشيح رافو وشنايدر، فانه ابعد ما يكون عن مشاطرة افكارهما على صعيد المبادئ، علما بان **الجريدة الرينانية الجديدة** هاجمت بدون هوادة رافو عندما كان في اوج مجده، غير انه اوضح ايضا بانه في الوقت الراهن لا يمكن ان يدور السؤال حول الديموقراطيين الحمر او الورديين، نظرا الى ان المطلوب اساسا في الفترة الراهنة هو معارضة الملكية المطلقة، ولهذه الغاية، ينبغي تجمع الديموقراطيين الحمر والورديين ليقفوا صفا واحدا امام الناهقين [١].

٢- وانه فضلا عن ذلك فان الدكتور جوتشالك تناول الكلمة في مؤتمر فرانكفورت الديموقراطي ليصرح بأنه يساطيع **استخدام عمال** كولونيا لتحقيق ملكية حمراء او لتحقيق جمهورية حمراء سواء بسواء، **مقدما العمال اذن كمجرد آلة يحركها كما يشاء** بعصا اشارته[٢].

٣- وان الهجومات التي قادتها جريدة **الحرية والعمل** ضد رافو اكتست طابعا جلفا تماما وحقيرا، آخذة على رافو كونه مصابا بمرض عضوي صورته على انه ولع.

٤- وان الهجومات الاخرى التي تشنها هذه اجريدة لا تعتمد غالباً

١- اطلق الجمهوريون الدستوريون خلال ١٨٤٨-١٨٤٩ على الديموقراطيين الجمهوريين اسم «المخربين» واطلق هؤلاء على اولئك اسم «الناهقين»

٢- على عهد ماركس كان مجرد التصريح بامكانية استخدام العمال كأداة منفعلة، بينما هم فعليا ذات فاعلة، للثورة كاف لطرد عضو من الحزب. اما في عهد «ادخال الوعي الى العمال من خارجهم»، وتحويلهم نظريا وعمليا الى اداة خاضعة خضوع الجثة لقرارات قيادة الحزب التي تقمصت بقدرة قادر دور الذات التاريخية المخلوعة، فان استخدام العمال بات «تطويرا خلاقا للماركسية»! عاش التزوير!

على اي عنصر حقيقي، وهي حتى لسذاجتها وحسب لا تستحق عناء الدحض، لكنها مع ذلك تقطر حقدا وضغين سوقيين وتفضح الطابع الحقير والدساس لكتابها.

٥- وان جوتشالك دبّر بعد خروجه من السجن خطة ضد عدة اعضاء بالاتحاد العمالي بقصد اعادة تنظيمه، ولهذه الغاية منح نفسه منصب الرئيس، بعد ان وضع نفسه على رأس لجنة مع خمسة اعضاء، وهذا يفضح عنده **ذهنية استبدادية تتعارض مع ابسط المبادئ الديموقراطية**.

٦- وان هذا التنظيم الجديد يدير ظهره لحزب البروليتاريين بأتم معنى الكلمة [١] للارتماء في احضان البورجوازيين الصغار، نظرا الى انه قرر زيادة قسط الاشتراك الشهري لكل عضو بمقدار ٥ قروش.

٧- (...).

٨- وان الدكتور جوتشالك بعد اطلاق سراحه، بدلا من ان يستجيب لما كان ينتظره منه عمال كولونيا بمواصلة نشاطه التقدمي كما في الماضي، سافر، وسط ذهول الجميع، حتى دون ان يقدم للعمال كلمة وداع او شكر على مواظبتهم ووفائهم.

٩- وان الدكتور جوتشالك قد هاجر، غرورا واغترارا بشخصه، ووجّه من بروكسل نداء لا يمكن اعتباره الا تصريحا لتبرير موقفه: هو، الجمهوري، يستشهد بشخصه متحدثا في تصريحه عن «الحكم الاعلى دائما للبلاد» او«عن صوت الشعب»، وفي صيغة اخرى فهو يعتبر ان الحكم الاعلى ليس الصوت الشعبي العام، اللهم الا اذا

١- الحزب هنا، كما هو غالبا، مستعمل بمعنى الطبقة البروليتارية.

كانت عبارته عن الحكم الاعلى يقصد بها الملك، وهذا، اذا صح، سيصنفه مباشرة في معسكر الشرعيين والملكيين، فضلا على انه في تصريحه يعبر عن احتقاره للشعب، مفترضا ان هذا الاخير بصفته حكما اعلى، صوت الشعب، يستطيع التخلي عن سلطاته لاحد ما (...).

(...)

يصرح الفرع الاول للاتحاد العمالي بكولونيا: بانه لا يوافق بأي شكل من الاشكال على سلوك جوتشالك (...).

دعوة لعقد مؤتمر الاتحادات العمالية

غادر مؤخرا عدد من المنخرطين لجنة الدائرة التابعة للجمعيات الديموقراطية برينانيا، وفي نفس الوقت قرر اتحاد عمال كولونيا الخروج من اتحادية الجمعيات الديموقراطية الرينانية. وقد قام بهذا المسعى لقناعته بأنه نظرا **لتنافر** عناصر هذه الجمعيات، فانه لا يستطيع ان ينتظر منها خيرا لمصلحة الطبقات الكادحة وأوسع جماهير الشعب.

ولهذا فان تنظيما متينا للعناصر المتشابهة فكريا واقامة تعاون قوي بين جميع الاتحادات العمالية غدا مهمة ملحة كل الالحاح.

يرى الاتحاد العمالي انه من الضروري، تحقيقا لهذا الهدف، وكاجراء اولي، تشكيل لجنة موقتة لجميع الاتحادات العمالية برينانيا وفستفاليا وعين كأعضاء في هذه اللجنة اموقعين اسفل هذا التصريح مخولا لهم حق اتخاذ جميع التدابير الكفيلة بنيل الهدف المشار اليه.

وتدعو اللجنة الموقتة جميع الاتحادات العمالية والجمعيات الاخرى التي ما زالت لم تحمل هذا العنوان بيد انها تنادي **بصلابة بمبادئ الديموقراطية الاجتماعية**. لكي ترسل مندوبا للمؤتمر الاقليمي يوم الاحد الاول من الشهرالقادم.

الموضوعات المطروحة على جدول الاعمال:

١- تنظيم الاتحادات العمالية برينانيا وفستفاليا.

٢- انتخاب مندوبين للمؤتمر العام لجميع الاتحادات العمالية الالمانية الذي سينعقد في شهر يونيو القادم بلايبتسيج.

٣- مناقشة وتحديد الاقتراحات التي سيقدمها [١] المندوبون لمؤتمر لايبتسيج.

(...)

كولونيا، ٢٤ ابريل ١٨٤٩

ماركس، فولف، شابير الخ

١- من الافضل دوما ان تكون مهمة المندوب، لمؤتمر التنظيم او لمؤتمر المجالس، قد نوقشت بالتفصيل وحددت من قبل التنظيم المحلي او مجلس المصنع الخ. وفي حالة تجاوز المندوب لحدود مهمته فلا بد من عزله فورا من قبل منتخبيه وانتخاب مندوب بديل.

نداء المجلس المركزي الى رابطة الشيوعيين
(مارس ١٨٥٠) (★)

ايها الاخوة! ان الرابطة اثناء السنتين الثوريتين ١٨٤٨ ــ ١٨٤٩ قد اثبتت شخصيتها بطريقتين: شارك اعضاؤها في الحركة بعزم في كل مكان، سواء في الصحافة، على المتاريس، او في ميادين القتال. لقد كانوا دوما في الصف الاول للطبقة الوحيدة الثورية حقا: البروليتاريا. لقد اثبتت الرابطة شخصيتها ايضا بطريقة اخرى: ام مفهومها للحركة، كما كان معروضا في نشريات المؤتمر والمجلس المركزي لسنة ١٨٤٧ وكذلك في البيان الشيوعي، اتضح انه وحده الصحيح. ان كل الآمال الوارد في تلك الوثائث قد تحققت بأجمعها، ومفهوم التنظيم الاجتماعي الراهن الذي كانت الرابطة في السابق لا

★ نورد النص كما هو في طبعة كوست Costes النافذة. وقد قام بترجمة هذا النداء محمد شعيرات. وقد تمت مقارنة هذا النص بترجمة فرنسية ثانية وترجمة انجليزية.

تنشره الا سرا، اصبح اليوم يناقشه كل الناس ويدعى اليه في الشوارع. في نفس الوقت نرى ان تنظيم الرابطة القديم والوثيق قد تلاشى بصفة ملحوظة. والعديد من الاعضاء الذين انخرطوا مباشرة في الحركة الثورية تصوروا ان عهد الجمعيات السرية قد ولى، وان العمل العلني وحده كاف. ان عددا من الحلقات والخلايا تركت علاقاتها بالمجلس المركزي تتفكك وتضعف شيئا فشيئا. بينما كان الحزي الديموقراطي، حزب البورجوازية الصغيرة، ينظم نفسه اكثر فأكثر في المانيا، كان الحزب العمالي يفقد رابطه الوثيق الوحيد. كان بالكاد يحافظ، في بعض المناطق، على تنظيمه من اجل اهداف محلية؛ ولهذا السبب فانه، في الحركة العامة، قد سقط سقوطا تاما تحت سيطرة وقيادة الديموقراطيين البورجوازيين – الصغار. يجب ان نضع حدا لهذا الوضع وان نعيد استقلال العمال. لقد ادرك المجلس المركزي هذه الضرورة. ولهذا السبب فانه، منذ شتاء ١٨٤٨-٤٩، قد ارسل مبعوثا الى المانيا، جوزيف مول، ليعيد تنظيم الرابطة هناك. بيد ان مهمة مول لم يكن لها مفعول دائم الاثر: من جهة لم يكن العمال الالمان قد قاموا بعد بتجارب كافية ومن جهة اخرى لم يتواصل نشاط مول بسبب انتفاضة مايو الماضي. فقد تقلد مول السلاح وانضم الى جيش – باد بلاطينا Bade Palatinat ولقي مصرعه يوم ١٩ يونيو في معركة المورج. لقد فقدت فيه الرابطة واحدا من اعضائها الاقدمين، الاكثر نشاطا وثقة. لقد اسهم في كل المؤتمرات وكل المجالس المركزية وكان قد قام سابقا بعدد كبير من المهام على اكمل وجه. بعد هزيمة الاحزاب الثورة في المانيا وفرنسا في يونيو ١٨٤٩، التقى في لندن كل اعضاء المجلس المركزي تقريبا، انضمت اليهم قوى ثورية جديدة وواصلوا بعزم جديد اعادة تنظيم الرابطة.

ان اعادة التنظيم لا تتم الا بواسطة مبعوث، ويعتقد المجلس المركزي انه هام جدا ان يذهب المبعوث في هذه الاونة بالذات حيث ان ثورة جديدة اصبحت على وشك الوقوع، والحزب العمالي اذن في حاجة الى ان يبرز في حد اقصى من التنظيم، والتفاهم والاستقلال اذا كان لا يريد ان يقع من جديد تحت امرة واستغلال البورجوازية كما حصل عام ١٨٤٨.

ايها الاخوة! لقد سبق ان قلنا، في ١٨٤٨، ان البورجوازيين الليبراليين الالمان سيأخذون الحكم وسيتنكرون مباشرة للعمال. لقد رأيتم كيف تحقق ذلك. ان البورجوازيين هم الذين استولوا، بعد اضطرابات مارس ١٨٤٨، على السلطة فورا واستعملوها مباشرة لارجاع العمال، حلفاء الامس، الى سابق وضعهم، وضع المظلومين. اذا كانت البورجوازية لم تحقق هذا الهدف دون ان تتحالف مع الحزب الاقطاعي، الذي كانت ثورة مارس قد ابعدته، ودون ان تنتهي الي تسليم الحكم مجددا الى الحزب الاقطاعي الاستبدادي، فهي على الاقل قد ضمنت لنفسها الشروط التي، سوف تضع بفضل ارتباكات الحكومة المالية كل السلطة بين يديها وتضمن لها كل مصالحها، اذا كانت الحركة الثورية ستجد نفسها، منذ الان، قادرة افتراضا على الانخراط في تطور سلمي مزعوم. لن تكون البورجوازية في حاجة، عند اقامة سيطرتها، لان تجعل نفسها كريهة باتخاذ تدابير عنيفة ضد الشعب، ذلك ان كل تدابير العنف هذه قد نفذتها الثورة المضادة الاقطاعية قبلها. لكن التطور لن يتبع هذه المسيرة السلمية. بل بالعكس، فان الثورة التي ينبغي ان تعجل بذلك وشيكة الوقوع، سواء اثارتها الانتفاضة المستقلة للبروليتاريا الفرنسية او اثارها غزو الحلف المقدس لبابل الثورية الحديثة (*).

---

*باريس.

والدور الذي لعبه البورجوازيون الليبراليون الالمان ازاء الشعب، في ١٨٤٨، هذا الدور الخائن تماما، سوف يضطلع به، في الثورة المقبلة، البورجوازيون – الصغار الديموقراطيون الذين يحتلون حاليا في المعارضة نفس المكان الذي كان يحتله البورجوازيون الليبراليون قبل ١٨٤٨. ان هذا الحزب، الحزب الديموقراطي، وهو اكثر خطر على العمال من الحزب الليبرالي القديم، يتشكل من ثلاثة عناصر.

١- فصائل البورجوازية الكبيرة الاكثر تقدما التي تستهدف الاسقاط المباشر والتام للاقطاع والاستبداد. هذا الاتجاه يمثله تصالحيو برلين الذي كانوا سابقا يحبذون رفض الضرائب.

٢- البورجوازيون الصغار الديموقراطيون الدستوريون الذي طالبوا خاصة، اثناء الحركة الاخيرة، بتأسيس دولة كونفدرالية ديموقراطية الى حد ما، كما كان يريد تحقيقها ممثلوهم، يسار برلمان فرانكفورت وفيما بعد برلمان شتوتجارت، وكما كانوا يطالبون بها هم انفسهم في حملتهم من اجل دستور الامبراطورية.

٣- البورجوازيون الصغار الجمهوريون، ومثلهم الاعلى هو جمهورية اتحادية المانية على غرار الكونفدرالية السويسرية، والذين يسمون انفسهم الحمر والاشتراكيين الديموقراطيين لان وهما عذبا ما زال يداعبهم، هو وهم القضاء على ظلم الرأسمال الكبير للرأسمال الصغير وعلى ظلم البورجوازي الكبير للبورجوازي الصغير. كان ممثلو هذا الفصيل اعضاء في المؤتمرات واللجان الديموقراطية وقادة للجمعيات الديموقراطية ومحررين للجرائد الديموقراطية.

باتت الآن جميع هذه الفصائل تسمي نفسها، بعد هزيمتها، جمهورية او حمراء. تماما على غرار البورجوازيين الصغار الجمهوريين في فرنسا الذين سموا انفسهم اشتراكيين. وفي بعض

المناطق، مثل فرتنبرج وبافاريا، حيث ما زالوا يجدون امكانية متابعة اهدافهم على الطريق الدسوري، تراهم ينتهزون الفرصة للتشبث بانشائياتهم القديمة وليبرهنوا عمليا على ان دار لقمان باقية على حالها.

من البديهي ان تغيير اسم هذا الحزب لا يغير شيئا من موقفه من العمال بل انه يبرهن فقط على ان هذا الحزب بات مرغما الآن على محابهة البورجوازية حليفة الاستبداد وعلى الاعتماد على البروليتاريا.

ان الحزب البورجوازي – الصغير الديموقراطي بالغ القوة في المانيا، انه لا يضم فحسب الاغلبية الساحقة من سكان المدن البورجوازيين، التجار الصغار، اصحاب الصناعات الصغيرة والمعلمين الصغار؛ بل يضم ايضا الفلاحين والبروليتاريا الريفية، ما دامن هذه البروليتاريا الريفية لم تجد سندا عند البروليتاريا المستقلة في المدن.

ان موقف الحزب العمالي الثوري من الديموقراطية البورجوازية – الصغيرة هو التالي: يناضل معها ضد الفصيل الذي يُراد الاطاحة به ويحاربها على كل المواقع التي تريد استخدامها لكي توطد مواقعها الخاصة.

ان البورجوازيين – الصغار الديموقراطيين لا يريدون قلب كل المجتمع لصالح العمال الثوريين، بل يهدفون الى تغيير الوضع الاجتماعي بحيث يصبح المجتمع القائم محتملا وملائما لهم قدر الامكان. فهم يطالبون اذن قبل كل شيء بتخفيض النفقات العامة بالحد من البيروقراطية وبفرض الضرائب خاصة على الملاّك العقاريين والبورجوازيين. ويطالبون ايضا بإلغاء الضغط الذي يمارسه الرأسمال الكبير على الرأسمال الصغير وذلك بإنشاء

المؤسسات المصرفية العامة وسن القوانين ضد الربا، الشيء الذي يمكنهم، عم والفلاحين، من الحصول، في شروط ملائمة، على سلفات من الدولة بدلا من الرأسماليين. ويطالبون اخيرا بتعميم نظام الملكية البورجوازي في الريف وذلك بتحطيم النظام الاقطاعي تحطيما كاملا.

لكي يحققوا كل ذلك، يجب ان يكون لهم دستور سياسي ديموقراطي او جمهوري يضمن لهم ولحلفائهم الفلاحين الاغلبية، وان يكون لهم ايضا استقلال اداري ديموقراطي يضع بين ايديهم الرقابة المباشرة على الملكية القروية، ومجموع الوظائف التي يمارسها حاليا البيروقراطيون.

اما سطوة الرأسمال ونموه السريع فسوف يعرقلان، سواء بتحديد حق الميراث او بالاتكال على الدولة في اكثر الاشغال الممكنة. اما فيما يخص العمال فلا ريب فيه انهم سيظلون كما كانوا اجراء. الشيء الوحيد الذي يتمناه البورجوازيون الديموقراطيون الصغار للعمال لا يعدو اجرا افضل ومعيشة اكثر امنا. وهم يطمحون الى تحقيق ذلك بفضل تشغيل الدولة الجزئي للعمال وبفضل مشاريع الاحسان. وباختصار فانهم يأملون رشوة العمال بصدقات مموهة الى حد ما ويهدفون الى تحطيم قوة العمال الثورية بجعل وضعهم الراهن محتملا موقتا. المطالب التي المعنا اليها هنا لم تقدمها جميع زمر البورجوازية الصغيرة الديموقراطية، وقلما نجد من هؤلاء البورجوازيين الصغار من يعي هذه الاهداف وعيا كاملا. كلما تقدم وعي بعض الافراد او بعض الزمر اكثر، كلما تبنوا جزءا كبيرا من هذه المطالب. والاشخاص القلائل الذين يرون، فيما اتينا عليه، برنامجهم، يفتكرون انهم، بذلك، قد حققوا اقصى ما يمكن للمرء ان يطلبه من الثورة. بيد ان هذه المطالب لا يمكن هيهات ان يكتفي بها

حزب البروليتاريا. يريد البورجوازيون الصغار الديموقراطيون انهاء الثورة بسرعة، بعد ان يكونوا قد حققوا في افضل الاحوال المطالب السابقة، اما نحن فمن مصلحتنا ومن واجبنا ان نجعل الثورة دائمة الى ان تطرد جميع الطبقات المالكة بدرجة او بأخرى من السلطة، الى ان تستولي البروليتاريا على السلطة والى ان يحقق مجموع البروليتاريين ما فيه الكفاية من التقدم، لا في بلد واحد فحسب بل في جميع بلدان العالم الهامة، ملغية بذلك التنافس بين البروليتاريين فيها ومركزة قوى الانتاج الحاسمة بين ايدي البروليتاريين. ما يهمنا ليس تحويل الملكية الخاصة بل القضاء عليها، وليس تمويه التناحرات الطبقية بل الغاء الطبقات، وليس تحسبن المجتمع القائم بل ارساء اسس مجتمع جديد. مما لا شك فيه ان سيكون للبورجوازية – الصغيرة الديموقراطية، في مجرى التطورات الثورية اللاحقة، نفوذ حاسم في المانيا خلال فترة ما. فعلينا اذن ان نحدد موقف البروليتاريا منها وبالتحديد موقف الرابطة:

١- اثناء استمرار الوضع الراهن حيث البورجوازيون – الصغار الديموقراطيون هم ايضا ضحايا الاضطهاد.

٢- اثناء الصراع الثوري القادم الذي سيمكنهم من التفوق.

٣- بعد هذا الصرع، وطالما استمر تفوق الديموقراطيين البورجوازيين الصغار على الطبقات المهزومة وعلى البروليتاريا.

في هذه اللحظة، حيث البورجوازيون – الصغار الديموقراطيون مظلومون في كل مكان فانهم عموما يدعون البروليتاريا الى الاتحاد والمصالحة، يمدون اليها ويبذلون قصاراهم لتشكيل حزب معارض كبير يضم كل اتجاهات الحزب الديموقراطي. بعبارة اخرى انهم يجدّون في ايقاع العمال في ف تنظيم حزبي يسود فيه الانشاء الاشتراكي الديموقراطي العام لتغطية مصالحهم الخاصة، ويمنعون

البروليتاريا في هذا التنظيم من تقديم مظالبها الخاصة حتى لا يتعكر صفو التفاهم، ان مثل هذا الاتحاد لا يخدم الا مصلحة البورجوازيين – الصغار الديموقراطيين ولا يخدم مصلحة البروليتاريا في شيء. ان هذا الاتحاد يُفقد البروليتاريا استقلالها كليا، ذلك الاستقلال الذي كلفها متاعب جمة، ويجعل منها مجرد ذيل للديموقراطية البورجوازية الرسمية. علينا اذن ان نرفض هذا الاتحاد رفضا تاما. على العمال وخاصة على الرابطة، بدلا من ان يحقروا انفسهم مرة اخرى بالتصفيق للديموقراطيين البورجوازيين، ان يسعوا خارج الديموقراطية الرسمية، الى تشكيل تنظيم مستقل، سري وعلني، للحزب العمالي، وعليهم ان يجعلوا من كل خلية مركزا ونواة للتجمعات العمالية حيث تقع مناقشة موقف البروليتاريا ومصالحها بمعزل عن التأثيرات البورجوازية. يكفي، لنعرف بأي قلة جد يأخذ الديموقراطيون البورجوازيون تحالفا يكون فيه للبروليتاريين نفس القةى ونفس الحقوق التي لهم، ان نقرأ ما يكتبه ديموقراطيو بريسلاو في جريدتهم Neve Oderzeitung التي يهاجمون فيها اعنف مهاجمة العمال – الاشتراكيين كما يسمونهم – المتجمعين في تنظيمات مستقلة. عندما يكون المطلوب خوض معركة ضد خصم مشترك لا حاجة البتة الى اتحاد خاص. لانه ما ان تغدو لزاما محاربة خصم كهذا حتى تتلاقى موقتا مصالح كلا الحزبين. سيقع في المستقبل ما وقع في الماضي الا وهو ان هذا التحالف، الذي هو فقط ابن ساعته، يتم من تلقاء نفسه. ومن البديهي ان العمال، خلال الصراعات الدامية المقبلة، سوف ينتصرون، كما في الماضي، خاصة بفضل شجاعتهم وحزمهم وتفانيهم. وكما في الماضي فان البورجوازيين الصغار سيبدون في مجموعهم، ولأطول وقت ممكن، مترددين، حيارى وعاجزين. لكن ما ان يتحقق النصر، حتى يستأثرون به ويدعون العمال الى ملازمة الهدوء والعودة الى ديارهم

واستئناف العمل، وسيتجنبون التطرف المزعوم ويحرمون البروليتاريا من ثمار النصر. ليس في وسع العمال منع الديموقراطيين البورجوازيين الصغار من التصرف على هذا النحو، لكنهم قادرون على جعل صعود الديموقراطيين، في وجه البروليتاريا المدججة بالسلاح، أمرا صعبا، وقادرون على ان يُملوا على هؤلاء الديموقراطيين شروطا من شأنها ان تجعل سيطرة الديموقراطيين البورجوازيين تنطوي، منذ نشأتها، على جرثومة انهيارها وان تسهل الى اقصى حد مهمة سلطة البروليتاريا في استئصال سيطرتهم فيما بعد. ومن الاهمية بمكان ان يناهض العمال بكل ما اوتوا من قوة اثناء الصراع وبعده مباشرة تهدئة الخواطر التي يحبذها البورجوازيون وان يرغموا الديموقراطيين على ان يضعوا موضع التنفيذ وعيدهم اللفظي الحالي. وعلى العمال ايضا ان يركزوا جهودهم للحيلولة دون اخماد العنفوان الثوري المباشر فورا بعد النصر. وعليهم ان يحافظوا عليه لأطول فترة ممكنة. لا ينبغي البتة عدم الاعتراض على التطرف المزعوم وعلى حالات الانتقام الشعبي من افراد ممقوتين او من مؤسسات عامة لا تثير في الذاكرة الا اكثر الذكريات بشاعة، يجب لا التسامح مع مثل هذا الانتقام الشعبي وحسب بل، اكثر من ذلك، على العمال ان يضطلعوا هم انفسهم بممارسته وقيادته. على العمال خلال الصراع وبعده وفي جميع المناسبات ان يقدموا مطالبهم الخاصة بهم الى جانب مطالب البورجوازيين الديموقراطيين. وعليهم، ما ان يصبح البورجوازيون الديموقراطيون على وشك الامساك بدفة الحكومة، ان يفرضوا ضمانات للعمال. وينبغي عليهم، عند اللزوم، ان ينتزعوا هذه الضمانات غلابا واغتصابا وان يفعلوا كل شيء لارغام الحكام الجدد على اعطاء جميع التنازلات وجميع الوعود الممكنة. فذلك هو اضمن طريقة لتوريطهم. وعلى العمال ان يتحكموا، ما استطاعوا الى ذلك

سبيلا، في نشوة النصر وفي البهجة بالوضع الجديد التي تعقب عادة كل انتصار في معركة شوارع، وان يحاكموا الوضع الجديد بروية ورباطة جأش وان يظهروا حيال الحكومة الجديدة حذرا سافرا.

على العمال ان يقيموا فورا، الى جانب الحكومات الرسمية الجديدة، حكوماتهم العمالية الثورية الخاصة، اما في شكل وحدات محلية مستقلة اداريا او مجالس بلدية، واما في شكل نواد او لجان عمالية، بحيث لا تفقد الحكومات الديموقراطية البورجوازية دعم العمال وحسب، بل تشعر منذ البداية بأنها مراقبة ومهددة بسلطات عمالية تحمي ظهرها بجماهير العمال. وباختصار، على البروليتاريا، حالما يغدو الانتصار امرا واقعا، ان تنظر بعين الشك والحذر لا للحزب الرجعي المهزوم، بل لحلفائها القدامى، للحزب الذي يريد ان يستغل الانتصار المشترك لخاصة نفسه.

٢- لكن، لكي يكون في المستطاع اتخاذ موقف صارم وانذاري حيال هذا الحزب الذي تبدأ خيانته للعمال منذ ساعات النصر الاولى، فعلى العمال ان يسلحوا انفسهم وان ينظموا انفسهم. يجب القيام فورا بكل ما هو ضروري لكي تكون البروليتاريا كلها مسلحة بالبنادق، بالغدّرات والمدافع وان تمتلك مع العتاد الذخيرة. ولا بد من معارضة الحرس الوطني القديم المرصود لمحاربة العمال. وحيث لا يستطيع العمال ان يمنعوا اعادة هذا الحرس، فعليهم ان يسعوا الى تنظيم انفسهم في حرس بروليتاري مستقل، بقيادات من اختيارهم هم انفسهم، وبقيادة اركان بروليتارية منتخبة ايضا منهم هو انفسهم وتحت امرة المجالس البلدية الثورية التي يشكلها العمال لا تحت امرة السلطة القائمة. وعلى العمال الذين يشتغلون في مؤسسات الدولة ان يتدبروا امر تسليح وتنظيم انفسهم في كتائب خاصة بقيادات من اختيارهم او في فصيلة من الحرس البروليتاري. لا

يجوز، بأي ذريعة كانت، تسليم الاسلحة والذخائر، ويجب، ولو باستخدام القوة عدند اللزوم، منع جميع محاولات نزع سلاح العمال. لا بد من القضاء المبرم على نفوذ البورجوازيين الديموقراطيين بين العمال، ولا بد من التحقيق الفوري للتنظيم المستقل للعمال وتسلحهم، ولا بد من معارضة سيطرة الديموقراطيين البورجوازيين التي ليس منه حاليا بد بأقصى واقسى الشروط التي تورّطهم وتعرقل مسعاهم، تلك هي امهام الاساسية التي ينبغي على البروليتاريا وبالتالي على الرابطة الا تسهى عنها لحظة اثناء او بعد الانتفاضة الوشيكة.

٣- ما ان تمكن الحكومات الجديدة اقدامها او تكاد حتى تنخرط فوريا في النضال ضد العمال. لكي يكون العمال قادرين على مجابهة البورجوازيين الصغار الديموقراطيين بقوة، فعليهم قبل كل شيء ان يكونوا منظمين وممركزين في نواد عمالية مستقلة. على المجلس المركزي ان يعود بأقصى السرعة الممكنة الى المانيا بعد سقوط الحكومات القائمة وان يدعو دون ابطاء الى مؤتمر يعرض عليه المقترحات الضرورية الخاصة بجمع شتات النوادي العمالية تحت قيادة قائمة في مقر الحركة. التنظيم العاجل لفدرالية اقليمية واحدة على الاقل تضم النوادي العمالية هو احدى المهام الاكثر اهمية لتعزيز وتطوير الحزب العمالي. وستكون النتيجة الفورية لسقوط الحكومات القائمة انتخاب مجلس وطني. وعلى البروليتاريا:

١- ان تكون حريصة على ان لا يستبعد بحجة او باخرى بعض العمال من الاقتراع بسبب دسائس السلطات المحلية او دسائس مفوضي الحكومة.

٢- ان تكون حريصة في كل مكان ان يترشح، الى جانب المرشحين الديموقراطيين البورجوازيين، مرشحون عماليون مختارون بقدر الامكان من بين اعضاء الرابطة، وان تستخدم جميع

الوسائل لفوزهم. على العمال ان يقدموا مرشحيهم الخاصين حتى في الدوائر التي لا امل البتة لنجاحهم فيها، لكي يحتفظوا باستقلالهم، لكي يعرفوا مدى قوّتهم ولكي ينشروا علانية موقفهم الثوري ووجهات نظر حزبهم. وعلى العمال، في هذا الصدد ان لا ينخدعوا بجمل الديموقراطيين الجاهزة الزاعمة مثلا بأن العمال بمثل هذا التصرف يشقون الحزب الديموقراطي ويقدمون للرجعية امكانية الانتصار. لا يرمي هذا الانشاء الديموقراطي في النهاية الا لهدف واحد: تضليل البروليتاريا. التقدم الذي سيحققه لا محالة الحزب البروليتاري بمثل هذا الموقف المستقل، اهم بما لا يقاس من السيئات التي قد يسببها وجود بعض الرجعيين في المجلس الشعبي. اذا اتخذت الديموقراطية منذ البداية موقفا حازما وارهابيا من الرجعية فان تأثير هذه الاخيرة في الانتخابات سيصبح عدما.

ستكون النقطة الاولى التي سيصطدم حولها العمال والديموقراطيون البورجوازيون هي ابادة النظام الاقطاعي. على غرار ما حدث في الثورة الفرنسية الاولى (١٧٨٩) سوف يضع البورجوازيون الصغار بين ايدي الفلاحين الاراضي الاقطاعية كملكية حرة. وفي صيغة اخرى يريد البورجوازيون الديموقراطيون الاحتفاظ بوجود البروليتاريا الريفية وتشكيل طبقة من المزارعين البورجوازيين – الصغار التي ستمر بنفس الدورة من الافتقار والاستدانة حيث ما زال الفلاح الفرنسي يتخبط الى الآن.

على العمال ان يحبطوا هذا المخطط وذلك لمصلحة البروليتاريا الريفية ومصلحتهم هم انفسهم. وعليهم ان يطالبوا بأن تظل الملكية المستصفاة ملكا للدولة وان **تحوّل الى مزارع** Colonies **عمالية تستثمرها البروليتاريا الريفية المنظمة في جمعيات** استثمارا يقدم لها كل مزايا الزراعة الكبيرة التي بفضلها يكتسب بسرعة مبدأ

الملكية الجماعية قاعدة راسخة، في اطار علاقات الملكية البورجوازية المترنحة. مثلما يتحالف الديموقراطيون مع المزارعين فكذلك على العمال ان يتحالفوا مع البروليتاريا الريفية. وسيسعى الديموقراطيون على أثر ذلك مباشرة، اما الى اعلان الجمهورية الاتحادية واما، اذا ما عجزوا عن منع قيام جمهورية واحدة لا تتجزأ، ان يشلوا على الاقل الحكومة المركزية باعطاء الكومونات والاقاليم اقصى قدر من الاستقلال والحكم الذاتي. وعلى العمال، في معارضة هذه الخطة، لا ان يواصلوا سعيهم لاقامة جمهورية المانية واحدة لا تتجزأ بل عليهم ايضا ان يسعوا، في اطار هذه الجمهورية، الى تحقيق المركزية القصوى للسلطة بين يدي الدولة. يجب الا تضلّلهم اقوال الديموقراطيين حول حرية الكومونات والحكومات المستقلة، الخ. في بلد مثل المانيا، حيث ما زالت مهام ازالة الكثير من بقايا القرون الوسطى وتحطيم الكثير من الخصوصيات المحلية والاقليمية راهنة، لا يمكن بحال التغاضي عن قيام كل قرية وكل مدينة وكل اقليم برفع حاجز جديد في وجه النشاط الثوري الذي لا يمكن ان ينطلق بكل قوته الا من المركز. لا يجوز القبول بتجدد الوضع الحالي الذي يجعل الالمان مرغمين، من اجل تحقيق نفس التقدم، على ان يخوضوا في كل مدينة وفي كل اقليممعارك خاصة. ولا يجوز خصوصا القبول باستمرار ذلك الشكل من الملكية الذي ما زال مختفئا وراء الملكية الخاصة الحديثة والذي سينتهي حتما الى الاندماج فيها، الا وهو الملكية المشاعية (للأرض) بكل ما يرافقها من شجار لا مفر منه بين مشاعيات غنية واخرى فقيرة، ولا يجوز ايضا ان يستمر، على حساب العمالي وباسم تشريع مشاعي حر زعما، تعايش حق مواطن المشاعية بكل تنكيداته مع حق مواطن الدولة. ان تحقيق المركزية الاشد صرامة، على غرار ما تحقق في

فرنسا ١٧٩٣، هي اليوم في المانيا مهمة الحزب الثوري [1].

لقد رأينا كيف سيصل الديموقراطيون الى الحكم خلال الحركة القادمة وكيف سيضطرون لاقتراح تدابير اشتراكية الى حد ما. والمسألة هي معرفة التدابير التي ينبغي على العمال ان يعارضوا بها تدابير الديموقراطيين. من البديهي ان العمال غير قادرين منذ بداية الحركة ان يقترحوا تدابير شيوعية مباشرة. لكن يمكنهم القيام بالامور التالية:

١- اجبار الديموقراطيين على ان يتدخلوا ما امكن ذلك في التنظيم الاجتماعي القائم وعرقلة سيره المنتظم، على ان يورطوا انفسهم بأنفسهم، على ان يجمعوا بين يدي الدولة اكبر عدد ممكن من القوى الانتاجية، وسائل النقل، المصانع، السكك الحديدية الخ.

٢- دفع اقتراحات الديموقراطيين، الذين لن يكونوا على اي حال

١- يجب التذكير اليوم بان هذا المقطع قائم على سوء فهم. كان من المتفق عليه آنذاك – بفضل مزوّري التاريخ البونابارتيين والليبراليين – ان الجهاز الفرنسي المركزي كان من ابتكار الثورة الفرنسية الكبرى واستعملته خاصة الجمعية التأسيسية Convention كسلاح حاسم ولا غنى عنه للانتصار على الرجعية الملكية والفدرالية والعدو الخارجي. الا انه اتضح الان من خلال الوقائع التاريخية ان كامل ادارة المحافظات والدوائر والقرى كانت، خلال الثورة بكاملها، حتى ١٨ برومير، تتألف من سلطات ينتخبها السكان انفسهم، كانت تتمتع بحرية تامة في اطار القوانين العامة للدولة. واتضح ان هذه الادارة الذاتية في الاقاليم والمحافظات، المشابهة لما يحدث في اميركا، كانت بالضبط اقوى رافعة للثورة، وذلك الى درجة ان نابليون اسرع فورا بعد انقلابه في ١٨ برومير، بابدالها بالنظام الاداري [المركزي] الذي ما زال معمولا به حتى ايامنا والذي كان منذ البداية اداة رجعية. والادارة المحلية والاقليمية المسيرة ذاتيا، بقدر عدم تناقضها مع المركزية السياسية القومية، ليست مرتبطة ضرورة بتلك الانانية الغبية الاقليمية والقروية التي تصدمنا الى حد كبير في سويسرا التي كان في ١٨٤٩ كل جمهوريي المانيا الجنوبية الفدراليون يريدون اتخاذها كقاعدة لهم في المانيا (تعليق اضافه انجلز لطبعة زوريخ سنة ١٨٨٥).

والان اتضح ان جميع البيروقراطيين المركزيين، الذين يفترون على ماركس وانجلز بزعمهم انهما كانا نصيرين للمركزية لا للامركزية، ليسوا سوى ورثاء متخلفين لمزوري التاريخ البوناباريتيين والليبراليين.

ثوريين بل اصلاحيين ليس الا، الى اقصى الحدود، محولينها الى هجوم مباشر على الملكية الفردية. فاذا اقترح البورجوازيون الصغار شراء السكك الحديدية والمصانع مثلا، فعلى العمال المطالبة بحزم مصادرتها من قبل الدولة بدون تعويض باعتبارها ملكا للرجعيين. واذا ما اقترح الديموقراطيون ضريبة نسبية فعلى العمال ان يطالبوا بضريبة تصاعدية. اذا اقترح الديموقراطيون انفسهم ضريبة تصاعدية معتدلة فعلى العمال ان يطالبوا بضريبة ترتفع نسبها بسرعة فائقة بحيث تؤدي الى وضع الرأسمال الكبير برمته في خطر. واذا ما طالب الديموقراطيون بتسديد ديون الدولة فعلى العمال ان يطالبوا باعلان افلاس الدولة. ان مطالب العمال يجب ان تتحدد اذن في كل مكان حسب تنازلات الديموقراطيين وتدابيرهم.

اذا لم يستطع العمال الالمان الاستيلاء على السلطة وتغليب مصالحهم الطبقية دون اجتياز تطور ثوري طويل بما فيه الكفاية، فانهم، هذه المرة على الاقل، متأكدون من ان اول فصل من هذه الدراما الثورية الوشيكة سيتزامن مع الانتصار المباشر لطبقتهم نفسها في فرنسا مما يؤدي الى الاسراع به.

الا انه عليهم ان يسهموا بأنفسهم في انتصارهم النهائي، بوعيهم لمصالحهم الطبقية وتنظيمهم لانفسهم بأسرع ما يمكن في حزب مستقل، وبعدم انصرافهم ولو لحظة واحدة – تحت تأثير جعل البورجوازيين الديموقراطيين الصغار المنافقة – عن اقامة التنظيم المستقل لحزب البروليتاريا. ان صيحة حربهم يجب ان تكون: الثورة الدائمة!

لندن، مارس ١٨٥٠

الفهرست

لماذا هذا الكتاب ؟

لمحاربة كل محاولات التزوير والخداع التي تحاول تغطية نفسها بوضع شارة ماركس - انجلز التنظيمية على صدرها، ترجمنا نصوص ماركس - انجلز حول التنظيم المجهولة كلياً في العربية . وستصدر في ٤ اجزاء متتالية . وارفقنا كل جزء بمقدمة عن وقائع الصراع الطبقي والتنظيمات العمالية التي واكبته تغطي في كل جزء الفترة نفسها التي كتبت فيها النصوص ، غير ان مقدمة ج . ١ تغطي تاريخ الحركة العمالية الاممية من ١٨٠٠ الى ١٨٥٠ وذلك لمساعدة الثوريين على الاستيعاب النقدي لهذه النصوص. ولذا فهذا الكتاب هو في الواقع كتابان متكاملان .

دار القدس
بناية مكرزل شارع بشاره الخوري ـ بيروت
الثمن : ٤ ل. ل. او ما يعادلها